

في ظلال الأخلاق

الشيخ عمر محمود - أبو قتادة

بيت المقدس

تفريغ سلسلة

«في ظلال الأخلاق»

والبالغ عددها (27) حلقةً.

فضلًا عن حلقة خاصة تتعرض للنموذج القرآني للأخلاق

لفضيلة الشيخ:

أبي قتادة الفلسطيني (عمر بن محمود أبو عمر)

- حفظه الله ورعاه -

محرم 1443 هـ - سبتمبر 2021م

بيت المقدس

المحتويات

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين.

إخوتي الأحبة، إذا لم تُقم القواعد الصحيحة فالفروع لا قيمة لها، أو أن قيمتها تصبح لاغية حتى لو وُجدت، فلابد من الاهتمام بالقواعد.

والقواعد في كل دين وفي كل مذهب هي قضايا كلية أولا، لابد هذا شرط بأن تكون جامعة لما سيأتي عليها من فروع متعددة، فهي قواعد أصول، يُبنى عليها غيرها، والأمر الثاني، أن تكون سهلة ميسورة تصلح لكل المخاطبين، وهذا ما نراه في الإسلام، فنجد أن قواعد الإسلام، أولًا كلية، بنيت عليها الشريعة كلها، كما أن آيات المكيّة هي أصول، ولم يطرأ فيها النسخ قط، الآيات المكيّة كما يقول الإمام الشاطبي، لم يطرأ عليها النسخ لأنها أصول الإسلام، القضايا الإسلامية العظمى.

وهذه القضايا الكلية، كذلك سهلة ميسورة، بمعنى أن الإسلام يخاطب الإنسان كله، ويخاطب البشرية جمعاء، وبالتالي يكون خطابها لكل الناس.

الذكيّ والعالم والفيلسوف يحتاج إليها، وإذا لم توجد فلا قيمة لما يبنيه بعد ذلك من أفكار، لا قيمة له، والإنسان السهل، أستخدم كلمة "البسيط"مع أن معناها غير ذلك، البسيط معناه المتسع، وهنا نستخدم معناه السهل، فالإنسان هذا السهل البسيط، هذا كذلك يحتاج إليها، ونحن نرى، وهذه قضية مهمة جدًا، أننا بحاجة أن نعود إلى الأصول، يوجد كلام كثير اليوم يُبرز الناس فيه قواهم الفكرية والكلامية، يتكلمون عن قضايا كثيرة جدًا، يتكلمون حتى عن الفن الإسلامي، يتكلمون عن علم الجمال الإسلامي، وهي قضايا جميلة جدًا ممتعة لكنها في غفلة عن القضايا الكلية.

والقواعد التي يُبنى عليها الإسلام، إذا لم تُوجد فإن الإسلام يصبح بعد ذلك زينة للحياة وليس مغيّرًا للحياة، يصبح بعد ذلك لباسًا يُتزيّ به وليس أصلًا يُقام عليه كل شيء، من

هنا لابد أن نعود إلى القضايا الكلية، التي طرحها القرآن المكيّ، وحتى لو وجد بعض المفكرين والعباقرة والأذكياء – زعموا – لو وجدوا أن هذا كلامًا يصلح للعوام، تذكيرًا للعوام لا يصلح لهم، في الحقيقة أن هؤلاء هم أولى الناس باستماع القواعد الكلية، حتى مع سهولتها التي يدركها العاميّ كما يدركها العالم، ويدركها البليد كما يدركها الذكي، إدراكًا يتعلق بأصلها، وبعد ذلك هناك قضايا يتمايز بها الناس.

يعني أثر القضايا الكلية على الحياة، ربما – بل هي حقيقة – يتفاوت فيها الناس، يتفاوتون فيها، ولكن الحديث عن القضايا الكلية مهم جدًا، وللأسف أنه إذا ابتعد العالم والفقيه والذكي، إذا ابتعد عنها، انقطعت صلته بالأصل، بعد ذلك يصبح مجرد مغني، مجرد صدى لقضايا مختلفة، ويصبح إمعة، بحيث يُقاد وكذلك يُستخدم، وأنا أعتقد بأن أهم ما يفقده المسلمون اليوم على كل طبقاتهم، سواء كان منهم متدين تدينًا شديدًا، أو المتدين تدينًا يسيرًا، أو الذي يمارس العمل الفكري، أو الذي يمارس العمل المادي، أو العامي أو العالم، أو الفقيه، أو الداعي إلى الله أو المفكر، **ما نحتاجه إلى الأخلاق.**

وسأحاول في هذه السلسلة، التي أسأل الله عز وجل أن يبارك فيها وأن يتمها، سأحاول أن أبيّن أهمية الأخلاق، والأخلاق المهمة التي دعا إليها القرآن، الله عز وجل يقول ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[(1)] هذه سورة مكية، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[(2)] عندما يفصّل جعل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[(3)] جعلها وسطًا بين قضايا أخلاقية وسلوكية، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)﴾[(4)] ذكر سلوكهم في الحياة، خلال النهار مع البشر، مع اختلاف أنواعهم، ثم ذكر خلوتهم مع الله في قيام الليل، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)﴾[(5)] ثم قال ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

---

(1) [الفرقان: 63].

(2) [الفرقان: 63].

(3) [الفرقان: 68].

(4) [الفرقان: 63-64].

(5) [الفرقان: 67].

آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[6] انظر، ذكر الأخلاق.

في سورة الإسراء، لما ذكر سبحانه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾[7] وهذه سورة مكية، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾[8] قال ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾[9] وذكر فيها ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)﴾[10] انظر هذه العُمد الأخلاقية التي يُقيمها القرآن، في السور المكية، في الصحابي الأول.

البناء الأخلاقي من أهم الأبنية والقواعد التي يجب أن نهتم بها في بناء الإنسان، وهذا أمر يجب أن نُكرره في دروسنا وأحوالنا، نحن نرى أن الأخلاق بابها عظيم، يقول صلى الله عليه وسلم: "أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا"، القضية عظيمة جدًا، "وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

عندما نتحدث عن عبادة الأخلاق التي نحن نشكو من قلتها، ونشكو من فسادها ونشكو من وجود أضدادها في داخل المجتمعات الإسلامية المتدينة، ثم نشكو بها في داخل المجتمعات الإسلامية ككل، قضية الخلق قضية مهمة جدًا، وأحاسن الناس أخلاقًا أقربهم للإسلام، لأنه انظر"أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا"، يعني يدل على أن باب الخلق، هو الذي يقرب المرء من دخوله في سنة النبي ﷺ. أن محاسن الأخلاق تُدخلك في صورة النبي ﷺ، في تمثله وفي الاقتداء به وفي اتخاذه أسوة، هذه قضية يغفل عنها الناس، ويظنون لضعفهم ولغلطهم بأن بحث القضية الأخلاقية هو مبحث جميل يصلح للوعظ فقط، مع أن هذا خطأ جسيم جدًا، ولذلك علماؤنا لأهمية كلمة الخلق، جعلوا السلوك البشري كله اسمه أخلاق، ويدخل تحت مسمى الأخلاق، حتى التعامل مع الله خُلق، حتى التعامل مع الله يُسمونه خُلق، التعبد يسمونه خُلق، اتخاذ النبي ﷺ أسوة،

---

[6] [الفرقان: 68].

[7] [الإسراء: 23].

[8] [الإسراء: 23].

[9] [الأنعام: 141].

[10] [الإسراء: 27].

خُلق، التعامل مع الكافرين بأنواعهم، مع المنافقين بأنواعهم، مع المؤمنين بأنواعهم، بهذا التنوع في الحياة، هذا يدخل في مسمى الخلق، لأن الخلق هو سمة للنفس، صفة تكون عليها النفس، فحينئذ لا تتجزأ، لقوله ﷺ:" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "، انظر هنا الخلق لا يتجزأ" من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، فعندما يكون في القلب شكر المنعم، فالذي يُنعم عليك هناك بشر، وهناك إنعام نهائي، مطلق، هو من الله سبحانه وتعالى، فإذا لم تنزع نفسك إلى شكر من أنعم عليك من الخلق، منهم والداي، منهم والداك، منهم أهلك أبناؤك، أقاربك، فإذا لم تنزع نفسك إلى الخلق لهؤلاء الذين تراهم أمامك ويقدموا لك النعمة التي تراها بعينك، فأنت أعجز من أن ترى نعمة الغائب، مع أنها النعم تحصل منه، لكن لا ترى يده، وإنما تحسّ بها وتشعر بها من خلال النعم التي تنزل عليك.

فلا بد من الاهتمام بالقضية الأخلاقية، لابد أن نربي أنفسنا عليها، والحلم بالتحلم، والخلق بالتخلق، ومجتمعاتنا اليوم الإسلامية، سواء كانت تجمعات دينية، أو تجمعات فكرية، أو تجمعات دعوية، أو تجمعات إسلامية ككل في داخل المجتمع الإسلامي العام، هذه قضية يجب علينا أن نهتم بها، وأن يصبح هناك المثال الذي يحقق الخلق الصحيح والسليم.

اليوم مصيبتنا مصيبة في القواعد والأسس والأصول.

عندما نتحدث عن الإيمان، الإيمان خلق، عندما نتحدث عن ضعف الإيمان إنما نتحدث عن ضعف الأخلاق، عندما نتكلم عن ضعف العبادة، نتكلم عن ضعف الخلق، انظر لقوله ﷺ"أفلا أكون عبدًا شكورًا"، هذا خُلق، هذا خُلق في التعامل مع الله، ولا يمكن كما قلت إذا كانت في النفس أخلاق ما، لا يمكن أن تتجزأ، فلذلك علينا أن ندخل من هذا الباب إلى الناس، ندخل في أن نحسن أخلاقنا وأخلاق الناس من خلال تربية أنفسنا، ومن خلال مراقبتها ومن خلال دعوة الناس، وتقدمة المثال، الدعوة الكلامية المتكررة، ولابد كذلك من تقدمة المثال، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

ربانية الأخلاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

في اللقاء الأول تكلمت عن البحث في القواعد، وأعظم القواعد التي يُبنى عليها الإنسان وتُبنى عليها الشخصية المسلمة هي الأخلاق، من أعظم القواعد، وبيّنت فيها بأن الأخلاق هي صفة لازمة للنفس، لا تتجزأ، وفي التعامل مع الله، لابد من وجود هذا الخُلق، وفي التعامل مع الخلق لابد من وجود هذا الخُلق.

هنا لابد من قضية مهمة، في كيفية بناء الأخلاق، هذه قضية مهمة جدًا، وهي قضية مصدرية الأخلاق، لأن هذا مهم جدًا في دعوتنا، كيف نرتكز على الأخلاق، من عاش في الغرب يدرك بأن قضية الأخلاق هي قضية فلسفية، لكن تطبيق واقعها يتم من خلال القانون، يعني لا يوجد في داخل المجتمعات تربية تسمى تربية خلقية، بمعنى سلوكية، باعتبار أثرها الأخروي، وباعتبار أثرها الإنساني العميق، وإنما يتحدثون عن القانون، يقولون القانون يجيز لك ذلك القانون لا يجيز لك ذلك، فإذا أجاز القانون فهو الخلق، مثلا العلاقة المحرمة بين الرجل والمرأة، القانون يجيزها بالتالي هي ليست سيئة، لا يعاقب عليها القانون بالتالي هي جائزة ومباحة، فلماذا؟ وحتى عندما يتحدثون عن الأخلاق يتحدثون باعتبار مكاسبها الدنيوية، مثلا يأخذون دورة في قضية ما يسمى العلاقات الاجتماعية بين التجار، كيف تصبح تاجرًا ذكيًا، كيف تصبح عارضًا لبضاعته، مسؤول توزيع، فيعلمونك الأخلاق بارتباطها كمنافع دنيوية عاجلة في الدنيا، وباعتبارها مصلحة تحقق لك الربح وتدرأ عنك الخسارة، من أجل هذا البعد الذي تحدثت عنه، الأخلاق نسبية، بمعنى يمكن اليوم أن يكون هنك خلق ما ممنوع وقبيح وبعد ذلك يصبح هذا الخلق مقبول، ومن ذلك مثلا أجلكم الله، اللواط، فكان ممنوعًا في المجتمعات الغربية، الآن يمنع الحديث عنه بتحقير، ومن حقّر هذا المجرم الشاذ، يُسجن ويُعاقب، ولا ندري بعد ذلك كيف تتحول الأخلاق.

ممارسة الرذيلة، شرب الخمر، الكذب، حتى الكذب، يعني أتحدى لو أني أفصّل لحدثت لكم قصص عشتها ورأيتها في مفهوم الكذب. أن الكذب لا يُعد عندهم عيبًا أخلاقيًا. وإنما ينبغي أن تتعلم في كيفية الكذب. يعني علم المحاماة عندهم هو كيف تكذب، وكذلك

أمثلة كثيرة يلزمها الكذب ولكن يجب أن تتعلم كيف تكذب، وهم يقولون لك اذهب فتعلم كذبة جيدة، هم يقولون لك في مرات كثيرة.

إذن هذا الاضطراب في مفهوم الأخلاق يعود إلى قضية مهمة وهي مصدرية الأخلاق. من أين يأتي الإلزام الأخلاقي، هذه قضية مهمة جدًا، في التربية عندما نتحدث مع المسلمين كيف نربي؟

انظر إلى القرآن، انظر إليه، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[11] فربط الخلق بالعبادة، وجعل مصدر الخلق هو أنك عبد، يعني معنى ذلك أن مصدر الخلق هو الله، وأنه لا يمكن أن تعرف الأخلاق الحقيقية العميقة وأن تُبنى الصفات الأخلاقية العميقة والقوية لا يمكن أن تُبنى بدون الخطاب الإلهي، لا يمكن.

ولو تُرك الناس ليصنعوا لهم قوانين أخلاقية، لاضطربوا واختلفوا ولا يوجد، إياك وهذه الكلمة القبيحة التي يقال "الإنسانية"، هذه لا تصنع أخلاقًا ولا تُوجد قاعدة مرجعية للناس في اختلافهم حول الأخلاق، لا يمكن، الله يقول ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[12]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[13]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾[14].

فإذن النقطة الأولى التي ينبغي أن نفهمها في حوارنا مع أمتنا، مع الناس، أن نُفهمهم الأخلاق باعتبارها عبادة لله، وباعتبارها استجابة لأمر الله عز وجل وأن مصدر هذه الأخلاق هو الله.

يجب أن نعلّم أبناءنا أن هذا من الله، ومن خلال العبارات الشرعية، وآباؤنا يدركون هذا مع بساطتهم وسذاجتهم وسهولة فهومهم، يقولون هذا حرام، حرام عليك ذلك، حرام هذه تستخدم، كلمة "حرام" هذه لها ارتباط ديني في نفس المسلم مهما كان، مهما كان علمه، مهما كانت لغته، يفهم أن هذا حرام، فهذا الخطاب هو الخطاب الذي يؤصّل للأخلاق، يؤصّل لها، إذا تحدثنا عن الأخلاق باعتبارها مصلحة وباعتبارها تأتي لك

---

[11] [الفرقان: 63].

[12] [الفرقان: 63].

[13] [الإسراء: 23].

[14] [الإسراء: 23].

بالمنافع، هذا أمر زائل، وحينئذ الكذب يصبح مباحًا، لأنه يدفع عنك الشر، ويصبح الظلم مباحًا لأنه يحصَل لك المنافع، وهكذا، لذلك ينبغي أن نهتم بهذه القضية في أن نبني الأخلاق في نفوسنا أولًا بأنها أمر إلهي، وأن نخاطب بها الناس ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾[15].

الإنذار يكون بالوحي، التخويف يكون بالله عز وجل.

ولما جاء المشرك ليسمع من النبي ﷺ قرأ عليه سورة فصّلت، ولما رجع إليهم قالوا: رجعت بغير الوجه الذي ذهبت به يا فلان، قال: إنما أنذرني بصاعقة، فارتجف قلبه، فالإنذار بالله عز وجل عظيم، ولذلك أنا تكلمت عن ذلك كثيرًا ولكن لابد أن نذكر هنا في أن أعظم ما تقوله للكافر "أنك كافر"، يضطرب، يتعب، هو يقول لك: قل أنا أخالفك، قل أنا لا أتبعك، بيني وبينك خلاف في الرأي، كل هذا يقبله منك حتى إذا قلت له أنك كافر، وأن الكافر إلى جهنم، تعب واضطرب وخاف، فالتخويف بالله عز وجل هو أعظم تخويف، لا نخوّفهم بقوتنا، خاصة في هذا الزمان لا يوجد للإسلام دولة، ولا يوجد للإسلام سلطان، والذي يفسد لا يعاقب، الذي يأتي المحرمات لا يعاقب، فبمن نخوّفهم، نخوّفهم بالله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[16] وأن أبيّن لهم بأن الأخلاق هي من الله، وأن الله عز وجل هو الذي شرعها لنا، ولذلك هذا ينشئ هذا المعنى، من التغيير والتبديل والتأثير النفسي، ويصنع كذلك الثبات.

الأخلاق يجب أن تكون ثابتة، ومرجعية ومعيارية، وشرط المعيارية الثبات، عندما نقول: هذا متر، وهذا ذراع وهذا كيلومتر، وهذا ميل، فلا يتغير هذا بتغير الزمان والمكان، بل هو معيار لكل مسافة، سواء كانت في هذا البلد أو في بلد آخر، فشرط المعيارية الثبات، وإذا تغيّرت المعيارية وصارت متبدلة فحينئذ يقع الفساد في الأرض، يعني أن يكون هذا اليوم الخلق حسنًا ثم يصبح قبيحًا ثم بعد ذلك يصبح قبيحًا أو حسنًا، هذا يدمّر المعيارية، ويدمّر ثباتها ويدمّر تأثيرها، ولذلك يجب علينا أن نهتم ببناء الإنسان من خلال خطاب الله له، وعلينا أن نعظّم الأخلاق من خلال مصدريتها ونبيّنها من خلال الكتاب والسنة،

[15] [الأنبياء: 45].

[16] [الأنبياء: 45].

ولهذا علينا أن نرجع إلى الكتب التي جاءت لتربية الأخلاق، مثل رياض الصالحين وكتب كثيرة، ابن أبي الدنيا له كتب كثيرة تتعلق بها، كتاب الشكر، كتاب اليقين، كتاب التوبة، وهكذا كتب كثيرة، كلها تتعلق بما قاله الله وقاله الرسول ﷺ، عن الأخلاق باعتبارها قضايا ثابتة لا تتغير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

النموذج الخلقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

ما زلنا هذا اللقاء، مع اللقاء الثالث من قضية أهمية الأخلاق وموسوعة الأخلاق، تحدثنا في اللقاء الفائت السريع، عن قضية ربانية الأخلاق، وهذا عبرنا عنه بمصدريته، عن بحث مصدرية الأخلاق، وهو ربط الأخلاق بالعبادة، ربط الأخلاق بخطاب الله عز وجل، سواء كان على جهة كلية أو على جهة فرعية، بأننا إذا حثثنا الناس أو علمنا أنفسنا عن خلق من الأخلاق، يجب أن نربطه بكتاب الله عز وجل، بسنة النبي ﷺ، بمثال الصحابة ﭫ، لأن لا نقع في ما وقع فيه البعض، من قضية اختلاط المصدرية، حتى ونحن نكون في دقة شديدة، حتى ونحن نمثل للأخلاق بصفات علينا أن نقتصر على تاريخنا، على علمائنا، أول شيء على النبي ﷺ، على الصحابة، على التابعين، ونبتعد تمامًا ما استطعنا عن التمثل مما نريد من أمثلة الأخلاق من النماذج الغربية، أو النماذج البدعية، التي يختلط فيها الشر كثيرًا بالخير.

وسبب ذلك، سبب أهمية هذه القضية، أن ذكر الأخلاق في رجل من الرجال هو يكون تعظيمًا له، والسامع لهذا المثال، يقع تعظيم لهذه الشخصية، أن نتحدث عن صبر رجل، فمثلا نتحدث عن صبر البوذيين، في قضية تجويع أنفسهم و و و، فيُعظم، هذا يقع من بعض المشايخ، يعظمون هذه الشخصيات، وهذا المتلقي بعد ذلك يصبح عنده هذا الرجل العابد الهندوسي المشرك البوذي، يصبح عنده تعظيم له ويبحث عن صفاته وأخلاقه، وهؤلاء صفاتهم ليست مركبة تركيبًا توازنيًا، فإنه وإن صبر في باب فإنه جاهل في باب.

يعني عندما نبحث في إمام السّيخ، ونأتي ونقول هذا زعيم السيخ موحد، ولكنك إذا نظرت له فقد ترك اتباع الشريعة المحمدية تكبرًا لأنه تكبر أن يتبع النبي ﷺ، فكفر بشريعة النبي ﷺ، وكفر برسالته، فأنت عظمته من جهة وفتحت الباب ليدخل منه هذا الأمر الذي عظمته، وفتحت له الباب ليدخل الشر الآخر.

عندما يذكرون أخلاق مثلا اليونان، الفلاسفة لهم مواقف في بعض الجوانب جيدة،

لكنها في مجموعها فاسدة، تجد الفيلسوف الفلاني كان لوطيًا، نعم، أو كان خائنًا، وهكذا.

الإنسان ضعيف إذا عظّم شخصية حاول أن يدخل فيها كليًا، يعني نحن نرى هذا في الذين يعظمون لاعب كرة القدم، فيحاول أن يتمثل به في كل صفاته حتى في شكله ولباسه فكيف بعد ذلك في أخلاقه، إذا سمع أنه كذا وكذا، فلذلك نحرص أشد الحرص على ألا نذكر أمثلة نموذجية للأخلاق إلا من خلال الأئمة العظماء، الذين إذا نظرت إليهم من كل جهة رأيت توازنًا خلقيًا عظيمًا، لا ترى عندهم الصدق ثم ترى عندهم الخيانة، لا ترى عندهم الأمانة وترى عندهم بعد ذلك الكذب، لا ترى عندهم البخل وترى معهم الصدق. هذا لا يكون.

إذا نظرت إلى أئمتنا رأيت توازنًا عظيمًا، وإذا وُجد بعض الاختلال فيسير، مغفور، وله سببه أو له علّته أو له تفسيره، ولكن إذا نظرت للآخرين لم تجد هذا المعنى، وجدت اختراقات خُلقية سيئة في داخل هذا الباب.

ولذلك علينا أن نحرص في تربيتنا لأنفسنا في ذكر النماذج التي تمثل الخُلق الذي ندعو إليه وأن نقتصر على ذكر العظماء، حتى ذكر الصوفية الذين ثبتت صوفيتهم وأنما يتعلقون بالشريعة تعلقًا ظاهرًا، كبعض المشايخ الكبار من الصوفية فعلينا أن نحذر كذلك من ذكرهم كالحلاج وأبي يزيد البسطامي، والرفاعي، والبدوي، فهذه شخصيات غير متوازنة، قد يقول قائل: لكن العلماء يذكرونهم في كتبهم.

لهم أسباب. والسبب أذكره بسرعة، لهم أسباب ولهم عللهم والعلماء لهم معاني التفتوا إليها لا يُناظرون ولا يُرد عليهم حتى نفهم المعنى الذي ركّب منه موقفهم أو كلامهم أو دعوتهم.

في خطابهم كان هناك صوفية كثر لا يمكن أن يتلقوا المعاني إلا من شيوخهم، فيدخلون عليهم في هذا المعنى من طريق شيوخهم، مثلا إذا تكلموا مع الصوفية ذكروا لهم الجنيد، والصوفية يعظمون الجنيد فمن أجل أن يجذبونهم إلى السنة يجذبونهم إلى التوحيد، يدخلون هؤلاء الشخصيات، ليس معنى ذلك أن هذه الشخصيات عند هؤلاء العلماء هي منبوذة لكنها على الجملة هي مسلمة وتصلح سبيلًا من أجل الوصول إلى السنة، حتى إذا وصلوا

إلى السنة تركوا غيرها.

كما أننا نقول للمرء تعلم الفقه على طريق العلماء، ثم بعد ذلك أنت إذا واصلت الطريق وصلت إلى السنة مباشرة، وكل الناس يقولونها، وبعد ذلك يقولون وصلها أو لم يصلها، فيتخذ هؤلاء العلماء في دعوتهم، يتخذون الشخصيات وسيلة للوصول إليهم، إلى المقصد الأعظم وهو قضية التعلق بالكتاب والسنة.

إذن نحن نتكلم هنا عن الشخصية المتوازنة، ونتكلم عن مرجعية الأخلاق، كقضية مهمة في قضايا الحياة، وهذا أمر مهم وهو تقدمة النموذج الخُلقي، وأن النتائج لهذا الخلق، مهما بدت في ظاهرها في أولها متعبة وشاقة لكن النتيجة خيرًا. فلذلك العوام يفهمون هذا فيقولون مثلًا"حبل الكذب قصير"بمعنى أن هذه المعصية وإن نجوت منها للحظة، فإنك ستدفع ثمنها بعد ذلك، وأما الصدق فينجي، يقولون"الصدق ينجي"وهم يرون أن الصدق ينجي، ولكن مع ذلك توجد حالات يكون من الخير أن يذكر الاستثناءات في هذا الباب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

كيف نكسب الأخلاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هذا هو اللقاء الرابع من موسوعة الأخلاق، والحديث عن أهميتها وقيمتها بالنسبة للمسلم وبالنسبة للحياة وبالنسبة للآخرة، بالنسبة لمحبة الله عز وجل للعبد، أن الله يحبه، أن الرسول ﷺ يقرّبه يوم القيامة، ويكون أقرب منزلة إلى الرسول ﷺ من غيره بالأخلاق، تحدثنا عن قضية معياريتها وقضية مصدريتها، وقضية ثبوتها، وقضية التمثل من الأشخاص الذين يُضرب بهم الأمثال في الأخلاق الحسنة والأخلاق الجيدة، حتى لو وُجدت جزئية في أقوام غير مسلمين فعلينا أن نحذر من ذكرها وإذا ذكرناها نذكرها مع التنبيه، قد يكون فيها هذه القصة معنى زائدًا فنذكره مع التنبيه، نأخذ منه، هذه حصلت منه وهكذا، لأن الشر إذا فُتح، عن طريق الخير لم ينته، وبعد ذلك النفس تميل إلى التمثل بالسيء وترك ما هو حسن الذي كان هو المدخل إليه.

الآن لابد من الحديث فيما يتعلق بالأخلاق عن قضية طرق اكتسابها، كيف نكتسب الأخلاق، وللأسف فإن كثيرًا من المشايخ يصفون أقوامًا بأخلاق ثابتة ويظنونها على معنى الثبات والرقم، كأنها حجارة ثابتة في مكانها إن غبت عنها مئة سنة عدت فوجدتها كما هي، هذا غير صحيح، الأخلاق بالتخلق، والأخلاق مكتسبة، ويستطيع المرء من بيئة بخيلة أن يربي نفسه فيكون هذا الرجل كريمًا، ويكون الرجل كريمًا فيتربى على خُلق البخل فيكون بخيلًا، بل إن المجتمع نفسه يمكن له أن يتغير، من خلال العمل ومن خلال التسليك الذي يُجرى عليه، كذلك من المهم أن نذكر كذلك من إيجاد البيئات التي تساعد على الخلق، يعني نحن نعرف أن خُلق الصبر يوجد في أقوام بسبب أحوالهم البيئية، مع أن خلق الصبر لابد أن ننظر إليه أولا ممن نشاء، من الداعي إليه، كما أننا نرى العرب، عندهم صفة الشجاعة والكرم، من أين اكتسبوها؟ فالمرجعية الأولى هي مرجعية النبوة، اكتسبوها من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فأولا لابد من مرجعية دعوية خُلقية أن ننسب الأخلاق إليها، من أين جاءهم الصبر، فنقول جاءهم الصبر، علمهم إمامهم الفلاني، جاء هذا داعي إلى الله بالصبر فعلمهم الصبر، هذا نبي من الأنبياء في هذه البيئة، علمهم الصبر.

الموضوع الثاني الذي يتعلق بقضية الأخلاق، هو قضية البيئة المرافقة لها، قد يكون هذا الداعي بعيد الزمن كما في العرب، فينشئ أمة، وقد يكون الخلق خاص بعائلة فمن خلال شيخهم، من خلال كبيرهم، من خلال جدهم يقول هذه قبيلة فلان تُعرف بالكرم، ممن رباهم عليه؟ يقول شيخ هذه القبيلة كان كريمًا فسرى الكرم فيهم بتربية هذا الكريم لهم.

لكن كذلك من الأسباب التي تُنتج الأخلاق، في تحصيلها، قضية البيئة وهذا الذي يعمل عليه الخصوم، كل ما ذكرنا يعملون عليه في أمتنا، هؤلاء الخصوم يعملونه في أمتنا، لإفسادها، وذلك خلق الفقر.

الفقر، وأتكلم هنا عن الفقر وليس الضيق، الذي يقابل السعة، وليس الفقر الذي يكون مارًا مرور الابتلاء، وإنما الفقر الذي يستقر في الناس، فالفقر هو البيئة، الأرضية التي تُنتج أقذر الأخلاق، والناس يمدحون الأخلاق باعتبارها إنتاجًا سلوكيًا بيئيًا، لكن نتحدث عما ذكرته أنا، هذا الانتاج البيئي لم نذكره في الأول، الأول هو التربية، الأول هو المثال، كما ذكرنا، ثم الثالثة تأتي البيئة، ولذلك أن مجتمعًا ما يُضيّق عليه الفقر، يضيق، يضيق، يضيق عليهم حتى يقتل الفضائل، ولذلك مما ينسب لعلي ﵁ قوله"لو كان الفقر رجلًا لقتلته".

البيئة ولذلك المجتمع الذي يكثر فيه الفقر تكثر فيه الرذائل، المرأة تضطر أن تبيع شرفها، تصبر تصبر، حتى إذا جاعت وخافت ووو إلخ، ثم كان هناك العرض إبليس بقضية الغنى وقضية السعة من خلال المعاصي المرء يضعف.

ويعجبني في هذا كلمة لابن حزم عليه رحمة الله، بأن المرأة الصالحة ليست هي التي إذا نُوزعت لم تفسد، أو الرجل الفاسد هو الذي نوزع ففسد، قال هذا غير صحيح، الصالح هو الذي إذا كان سليمًا بعيدًا عن مواطن الفتن لم ينزع إليها، لم يذهب إليها، لأن الإنسان في النهاية له قدرة على التحمل، خاصة إذا طالت المدة، إذا طال الزمن، فلذلك يعمل الكفار على الفقر، على الإفقار، ويفتحون المجالات التي يحصل بها الكسب عن طريق المعاصي، انظروا إلى طريقتهم كما هو مشهور معروف، أنا أذكر ما هو معروف، نتحدث عن قضايا ثابتة، وقضايا ليس هناك فيها إبداع إلا بالتجميع.

عنـدما أرادوا أن يفسـدوا التعلـيم في مصـر، مـاذا صـنعوا؟ التعلـيم الـذي هـو الكتاتيـب، وتعلـيم القـرآن واللغـة والتربيـة الإسـلامية و.. إلخ. مـاذا صـنعوا؟ ضـيّقوا علـى هـؤلاء لم يفسـحوا لهـم المجـال، لأنـه لـيس معهـم شـهادات يعتبرونهـا ويعترفـون بهـا، وفتحـوا مجـالات الدراسـة العلمانية التي يعطونها الأموال، وبالتالي الناس يضعفون، بعد مدة يضعفون.

الحالـة الاجتماعيـة، إذا تقـدم رجـل معـه راتبـه عـالي غـير رجـل تقـدم معـه راتبـه صـغير، وهكـذا بعـد ذلـك دمجـوا المؤسسـة الدينيـة بالمؤسسـة العلمانيـة، دمجوهـا، أدخلوهـا، لأن النـاس صـاروا يتطلعـون، ويريـدون الـدين، فقـالوا لهـم نعـم، نعطـيكم الـدين ولكـن نعطـيكم معـه سـيطرة العلمانية، نموذجها وأخلاقها، كذلك البيئة يصنعون الفقر.

السـلوك إذن حالـة متغـيرة، هـذه قضـية مهمـة، السـلوك الإنسـاني لـيس حالـة ثابتـة، قـد يتحـول الشـجاع إلى جبـان، مـن خـلال التربيـة والتسـليك، وقـد يتحـول الجبـان إلى شـجاع، مـن خـلال التربيـة والتسـليك، ولـذلك الاعتمـاد علـى أن هـذا الطفـل هـذا جبـان أو هـذا بخيـل أو هذا كذا، هذا غير صحيح. فتستطيع أن تغيره.

هنالـك مـا يُسـمى نـوع الشخصـية، هـذه قضـية كـذلك يمكـن أن يغيرهـا المـرء، يعـني هنـاك شخصـية غضـوبة، هنـاك شخصـية سـهلة، كمـا النـبي ﷺ قـال النـاس خلقـوا علـى الأرض، فمـنهم الحـزون ومـنهم السـهل، ومـنهم الأسـود ومـنهم الأبـيض، كحالـة الأرض، فتجـد رجـلًا سـهلًا، ولكـن مـع ذلـك، هـذا الخلـق الـذي نشـأ عليـه فـترة تسـتطيع أن تبدلـه، لكـن الحـديث عـن نـوع الشخصـية حـديث آخـر، لا يتعلـق بالأخـلاق، نـوع الشخصـية، يكـون كريمًـا مـع ذلـك هـو يغضـب، كـريم ومـع ذلـك هـو سـهل، وهكـذا الشخصـية العاطفيـة، بعـض النـاس إذا اسـتبكي الليـل والنهـار لا يبكـي، وبعضـهم إذا فقـط اسـتبكي في لحظـة بكـى، شخصـية عاطفيـة، فهـذا نـوع الشخصية أمـر آخـر، نتحـدث هنـا عـن قضـية القواعـد الخلقيـة، هـذه منفـذ دراسـة الغـرب، دراسـة أعـدائنا، لقضـية تغيـير الأخـلاق هـو مـدخلهم لتغيـير أمتنـا لإفسـادها، وبالتـالي أيـن هـذه الجمـوع الـتي تخـرج مـن النسـاء تخـرج سـافرات كاسـيات عـاريات، مـن أيـن جـئن؟ جـئن مـن بيـوت فيهـا الطهـر وفيهـا العفـاف وفيهـا الـدين وفيهـا الأمهـات الصـالحات، والجـدات العابـدات القانتـات، ومـع ذلـك تغـير هـذا السـلوك، مـن خـلال مـاذا؟ الوضـع الاجتماعي أولًا، لذلك هم يجعلون هناك من البيئات ما يغيّر هذا السلوك.

حديثنا هنا عن صناعة المسلم صاحب الخلق الذي يتحدى هذا الواقع، ومن هنا الحديث عن الأخلاق في زماننا، مع أنه الحديث عن الأخلاق، هو حديث يُنسب إلى الواعظين، أي إلى الناس القصاصين وغيرهم من أدنى درجات الفكر والمهمات ولكنه في واقع الأمر الحديث عن الأخلاق هو حديث عن صناعة الإنسان المقاتل، الذي يجابه المعركة بكل جوانبها.

الحديث عن الأخلاق في بيئتنا هو حديث التحدي للشيطان وجنده والجاهلية.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

المجتمع والأخلاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أهلًا بالإخوة الأحبة، مع اللقاء الخامس من سلسلة الأخلاق.

مما ينبغي أن نهتم له، كما أننا ربطنا الخلق بالكتاب والسنة، وربطناه بمصدر الحق، وجعلناه معيارًا ثابتًا، وأرجعنا إليه كافة السلوكات، وكذلك بيّنا لابد من وجود المثال الحق، وأن نجرد هذا المثال في أمتنا دون غيرها لأسباب، هذا يعني مهم جدًا، وهو الأصل.

كذلك من المهم جدًا أن نبيّن أن المدخل إلى الدين الصحيح هو الخلق، كما أن المدخل الذي يتخذه الشيطان إلى الدين السيّء هو الخلق، وهذا مرتبط في آخر لقاء قلته، اللقاء السابق، وهي قضيّة أن السلوك ليس حالة ثابتة، بل يحتاج إلى الإرادة لتغيّره، إما إرادة الخير لتحول السلوك السيّء إلى الحسن، وإما إرادة الشرّ بتحول السلوك الحسن إلى الشرّ.

وذلك بأن نفهم بأن عدونا يدخل إلى تغيير عقائد الملّة، وعقائد المسلمين، من خلال تغيير الخلق، لأن الدين مرتبط عند الناس بخلق المرء، كما أنه مرتبط بتعبّده، يعني الناس يفرقون بين المرء الذي يذهب إلى المساجد، ومتعلق قلبه بالمساجد، وبين الرجل الذي لا يصلي، حتى ولو رأوه شيخًا، لكن يقولون هذا شيخ فاسد، لأنه غير متعلق بالمساجد، هذا شيخ فاسد لأنه.. وكذلك يقولون، لأنه ليس متعلق بالمساجد، هذا شيخ سيّء لأنه لا أخلاق عنده.

فالأخلاق مدخل للعقيدة، العدو هذه يستغلها أكثر منا.

النبي ﷺ استغل في حياته قضية أخلاق الناس، وما يعظمونه في الدعوة إلى الله، نحن نعرف في صلح الحديبية، أنه لما جاء من يعظم شعائر الحج والهدي والقلائد، أمر النبي ﷺ أن يعرض الصحابة أمامه الهدي، من أجل أن يدخل في قلبه أن ما يعظمه من الأخلاق، ومن العبادة التي ورثها عن الأنبياء السابقين، وهي عبادة صحيحة، من بقايا دين إبراهيم عليه السلام، أنه مدخل إلى الحق، مدخل إلى الدين، الأعداء كذلك يفعلون هذا، لكن بطريقة معاكسة، فإنهم لما كانت الأخلاق دين فإنهم يدخلون على الدين من

خلال الأخلاق.

هم إذا أفسدوا الأخلاق أفسدوا أمرين مهمين:

الأمر الأول: خلق من يدعونه. وثانيًا: أنه جزء في المعركة ضدهم.

الذي يسهلون له شرب الخمر، حين يشرب الخمر، ما الذي خسره؟ خسر كونه مسلمًا صالحًا، لكنهم لا يقبلون منه ذلك، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[17] هم لا يقبلون منه فقط أن يشرب الخمر، شرب الخمر يكون وسيلة لأن يدخل في حزبهم، يدخل في طاعتهم، يدخل في ولائهم، بتحول إلى دينهم حين يترك الدين.

الحالة التي يتحدث عنها علماؤنا قديمًا من قضية وجود شارب الخمر الذي يصلي أو الذي يرابي وهو يصلي، أو الذي يكذب في بضاعته وهو يصلي، فذاك هو مسلم عندهم، هذه الحالة كان يصنعها المجتمع، حالة اجتماعية، بحيث أنهم لا يتصورون أن مسلمًا لا يصلي، وقد وجد من قال من أهل العلم، قال مبحث قضية كفر تارك الصلاة مبحث نظري، هذا في زمانه وفي بلدته، قال مبحث نظري، لأني لا أعلم مسلمًا لا يصلي، تصور مبحث اجتماعي، لكن هذه الأيام الصورة مختلفة، لعدم وجود الظرف الاجتماعي، والبيئة الاجتماعية المتدينة، فإنهم يعلمون أنه إذا شرب الخمر أدى به إلى ترك الصلاة، بل إلى أكثر من ذلك. إلى أن يأخذونه جنديًا في دينهم، ضد جنود الإسلام، وضد حالة الإسلام، فيبدأ التسليك له بعد ذلك، إذن هو في زماننا المنفذ الأخلاقي، إلى المنفذ الديني منفذ أعظم من المجتمعات السابقة.

من أمثل القصص المضروبة في التاريخ، في قضية تأثير البيئة على السلوك، التي ذكرناها في الدرس السابق رقم أربعة، والآن نتحدث عنها بصفة أخرى، وهو أن هناك غازيًا حاصر قرية ليدخل إليها، فأراد أن يكتشف أخلاق أهلها، لأن الأخلاق هي التي تدل على الصمود، وخاصة فيما يتعلق بخلق الإحسان وخلق الصبر. فأدخل وزيره إلى القرية، وهذه ذكرتها كثيرًا هذه القصة وأكررها لأهميتها، أدخل وزيرًا إلى القرية، فذهب إلى بائع يبع مثلًا القماش، فاشترى منه ثم أراد أن يشتري منه بضاعة أخرى، قماشًا آخر، فقال له البائع: أنا

---

[17] [البقرة: 168].

يكفيني هذا، أنك اشتريت مني، وجاري لم يبع هذا اليوم فاذهب فاشتر منه، هذا خلق حسن، هذا خلق طيب، يؤدي هذا الخلق إلى التكاتف والإحسان، وخلق الصبر كذلك، فذهب إلى الآخر وحدث معه ما حدث مع الأول، اشترى منه ثم أرسله إلى غيره وهكذا، وهذه تذكرك هذه القصة المثالية بقصة أصحاب النبي ﷺ في اليرموك، المشهورة عن عكرمة رضي الله عنه، عندما جاء ليشرب الماء، وهو يشربونه الماء وهو جريح، فأرسله إلى الجريح الذي يشربونه الماء.. وإلى الجميع، وهذه رواية ربما يقول البعض لا تصح سندًا، لكنها في أخبار التاريخ من أقوى أخبار التواريخ.

فبقي هذا الآن. مالذي يفعله ليغيّر هذا الخلق، هذا الحاكم مالذي يفعله ليغيّر الخلق، يغيّر البيئة، يقسو عليهم، يضغط، يضغط، والناس أمام الضغط مراتب. في مكة لم يُسلم من الصحابة أكثر من مئة شخص، لأن البيئة هي بيئة ضاغطة، لا يستجيب لها إلا الأفراد، النزاع من القبائل، لا يستجيب لها إلا القلة، وأما البقية فكما قال علي رضي الله عنه فهمج رعاع. يتبعون كل ناعق، فضغط على البيئة من خلال الفقر، من خلال الحصار حتى جاعوا، فأرسل وزيره مرة أخرى ليرى أخلاق الناس، فوجدها قد تغيّرت، لم يعد هذا الخلق في قضية التكاتف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضية الإحسان إلى الفقير مع حاجته، إلى غير ذلك، تغيّرت، فحينئذ انهارت القرية، وعلم أنه يمكن أن يدخلها بعد ذلك، كله بعد ذلك المجتمع تفتت روابطه، شبكة العلاقات الاجتماعية تفتت، حينئذ لم يعد مجتمعًا، عاد أفرادًا، وإنما القوة تنشأ بالتكاتف والتراص والتلاحم، ولا يمكن أن يوجد هذا التلاحم والتراص إلا من خلال الخلق، إلا من خلق الإحسان، من خلق الصبر، من خلق التسامح، من خلق العفو، من خلق الكرم، من خلق الشجاعة، فالأخلاق ليس فقط النظر إليها ببعدها، هنا المهم جدًا في هذه النقطة، ليس النظر إلى الأخلاق ببعدها كفرد لك، ولكن هي هذه الأخلاق تنشئ الشبكة بينك وبين الآخرين، تقوي الأواصر، بحيث لا تصبح أنت وحدك، تصبح أنت مجموعة، ولذلك المجتمع، ما معنى المجتمع ليكون مجتمعا، يساوي الأخلاق، المجتمع يعني الأخلاق.

لو نظرت إلى مجموعة من الطوابير الصافة من أجل أن يدخلوا إلى الباص، ينتظرون الباص لينقلهم من محلة إلى أخرى، فأنت لا تقول عنهم أمة، لا تستطيع أن تقول هؤلاء

الذين اصطفوا انتظارًا للباص، لوجود حاجتهم إلى شيء واحد وهو الباص، أن تقول عنهم أمة، كل واحد له حاجة، ليس بينهم ارتباط.

إذن وجود الناس في داخل بيئة واحدة، لا يعني أنه مجتمع، المجتمع يعني وجود الأخلاق، إذا وجد التراحم بينهم، إذا وجد الإحسان لهم، الرجل يحدّث صاحبه لما جاء، انظر إلى هذه القضية عندما قال"تبسّمك في وجه أخيك صدقة"يدخل المرء إلى هذا المكان، أنت تراقب، لو وضعنا مراقبة لهؤلاء، كيف يعيشون، عندما جاء واحد ووقف في الطابور، ينتظر الباص، جاء الآخر: السلام عليكم ورحمة الله، سلّم عليه، تبسّم في وجهه، حادثه محادثة الأخ، تقول كأنه يعرفه، وهذا هو المطلوب، بدأ معه بالعظمى[18] فالمنكر، ذاكره، وقف معه قال له كم تحفظ من القرآن، هذه أخلاق، كانت في مجتمع الصحابة كانت موجودة لمن يعرف ولمن لا يعرف، حينئذ تحس بأنه مجتمع واحد، بهذا التكافل، واحد وراء واحد وراء واحد، لكن لو جلسوا هكذا صمود لا يجمعهم شيء، فحينئذ إذا فقدوا الأخلاق فقدوا معنى المجتمع، ومعنى الترابط.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(18) غير واضحة في التسجيل..

تعظيم الأخلاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هذا هو اللقاء السادس من موضوع الأخلاق وموسوعته، وما زلنا في تقرير أهمية الخلق، وكيف نتعامل معه باعتباره قيمة عظيمة جدًا، سواء كان في الدنيا أو الآخرة.

تحدثنا في اللقاء الفائت، على أن المجتمع لا يكون مجتمعًا حتى يكون عنده الأخلاق، والأخلاق هي إذن دستور، الأخلاق هي دستور، ومن هنا سمى الشيخ الدراز كتابه"دستور الأخلاق في القرآن"، لأن"الدستور"وإن كانت كلمة غير عربية، لكنه يعني القوانين، حتى كلمة"القانون"ليست عربية.

لكنها تعني الشرائع والأحكام المطبقة في داخل المجتمع، والمجتمع لا يمكن أن يكون مجتمعًا ابتداءً حتى يكون عنده الأخلاق، هو الذي ينظّم حياة المجتمع، وحتى الأخلاق والصفات التي يُنسب إليها الناس، إنما تنتج بالأخلاق.

هناك قضايا خَلقية لا دخل لنا فيها، قال سبحانه وتعالى ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[19]، وكما قال الله عز وجل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[20]، هذه قضايا فطرية خلقية لا دخل لنا بها، وقد تضعف بسبب قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[21].

نعم يبقى بر الوالدين حتى وإن كفرا، لوجود هذه العلاقة الفطرية وبقائها ولكنها تضعف أمام قضية أخرى، نحن نعلم أن مصعب بن عمير قال لمن ملك أخاه، بعد غزوة بدر، قال: أشدد عليه، قال: هكذا توصي بأخيك، قال هو أخي من دونك، انظر ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[22]. أنشأ ولاية عظيمة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[23] أنشأ شبكات

---

(19) [الأنفال: 75].

(20) [النساء: 11].

(21) [الحجرات: 10].

(22) [الأنفال: 72].

(23) [الحجرات: 10].

وعلاقـات جديـدة لكـن مبناهـا علـى الخلـق، وهنـاك قضـايا فطريـة لا دخـل لنـا بهـا، المطلـوب هنـاك أخـلاق تتعلـق بهـا وسـلوكيات ينبغـي أن تكـون موجـودة، ولا يسـتطيع أحـد أن ينفيهـا ﴿وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا﴾[24]، ﴿وَإِنْ جَاهَـدَاكَ عَلَـى أَنْ تُشْـرِكَ بِي مَـا لَـيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْـمٌ فَـلَا تُطِعْهُمَـا﴾[25] وهكـذا. هـذه قضـية لا دخـل لنـا بهـا، ولكـن نتحـدث عـن السـمات الـتي تُنـتج العلاقـات بـين النـاس إنمـا منشـؤه الخلـق، يعـني عنـدما نقـول الأخـوة في الله، الأخـوة في الله مبناهـا أولا علـى خلـق الإيمـان، علـى اعتبـار أن كـل مـا يمارسـه العبـد مـن قـول أو فعـل سـواء كـان هـذا الفعـل متعلـق بالجـوارح أو متعلـق بالقلـب فإنهـا أخـلاق، كـل مـا يتصـرف بـه المـرء أخـلاق، وحـتى الصـفة لنفسـه الـتي فطـر عليهـا هـي أخـلاق، فـالأخلاق هـي كلمـة جامعـة لسلوكيات الإنسان، إما أن تكون حسنة وإما أن تكون قبيحة.

فهـذه الشـبكات الاجتمـاع الحياتيـة، تُنتجهـا الأخـلاق، يقـول الأخـوة في الله وهـي أول لبنـة مـن لبنـات هـذا المجتمـع،"سـبعة يظلهـم الله تحـت ظلـه يـوم لا ظـل إلا ظلـه"،"رجـلان تحـابا في الله واجتمعـا عليـه"، وهـذا ينـتج بعـد ذلـك رجـل قلبـه معلـق بالمسـاجد، وتُنتجـه هـذه الحالـة أيضا"رجل قلبه معلق بالمساجد"إلى آخره.

فهـذه الأخـوة في الله مالـذي ينتجهـا؟ هـل تتصـور أخـوة بـلا تسـامح، هـل تتصـور أخـوة بـلا إغـداء، هـل تتصـور أخـوة في الله عـز وجـل بـلا عطـاء، بـلا كـرم، هـل تتصـور الأخـوة في الله بـلا احـترام؟ مالـذي يُنـتج معـنى الأخـوة؟ هـل تتصـور أخـوة في الله بـلا صـدق، بـلا نصـيحة بـلا أمانـة، فالـذي يُنـتج لبنـات المجتمـع الداخليـة الفرديـة، قبـل كـل شـيء، قبـل أن تنشـئ المجتمـع إنمـا هـي الأخـلاق، هـي السـلوكيات، وتـزداد أواصـر هـذه العلاقـات الداخليـة بالأخـلاق، حـتى الأسـرة في تكوينهـا الأول لا يمكنهـا أن تنـتج بـلا أخـلاق، بـين الرجـل والمـرأة، إن لم يكـن هنـاك مـا تكلمنـا عنـه مـن الأخـوة في الله، مـن صـفات الأخـوة في الله، كـالكرم كالشـجاعة، كالفـداء كالعطـاء، كالسـماحة، وغيرهـا ممـا يحتاجهـا النـاس في تعـاملهم اليـومي مـع إخـوانهم في الله يحتاجهـا المـرء مـع زوجتـه كـذلك، وتقـوى الفطـر الـتي تكلـم عنهـا الشـارع ﴿وَأُولُـو الْأَرْحَـامِ

[24] [البقرة: 83].

[25] [لقمان: 15].

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[26]، التقوى من خلال هذه الأخلاق، وتترسخ أو تضعف من خلال هذه الأخلاق، الوالد الكريم يحبه ابنه أكثر، الوالد الصدوق يحبه ابنه أكثر، من لو كان بخيلا! الابن يحب أباه الصادق يحب أباه الأمين، يحب أباه الشجاع، يحب أباه الكريم، وهكذا، فالأواصر التي أنشأها الإسلام فطرة ورحمًا، إنما تقوى وتضعف بهذه الأخلاق، وأما غير ذلك، وهذا قلة في المجتمع ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[27] فما الذي ينتج اللبنات الأولى في داخل المجتمع إنما هي الأخلاق.

من هنا تأتي أهمية الأخلاق في بناء الأمم، نحن رأينا المجتمع، رأينا الأمم، رأينا الشرائع كيف هي، رأينا الآخرة كيف هي مع الأخلاق والآن نراها كيف في داخل المجتمعات الواحدة، حتى مع الحيوانات، وحتى مع الولد الصغير، لو قلت لولدك الصغير تعال أعطيك، فكذبت عليه، كانت كذبة عدت عليك كذبة عند الله عز وجل، حتى الحيوانات، الرحمة،"الراحمون يرحمهم الرحمن"، عندما ترحم الحيوانات تكون لك أخلاق معها، وصفات معها، من هنا مجموع الحضارة الذي تتشكل به الأمة، من مجتمعها ومجتمعاتها المتعددة ومن لبناتها الصغيرة من الفرد والأسر والأخوة في الله والعلاقات إنما مبعثها الأخلاق، وفي كل تصرف تمشي به في هذه الحياة ذهبت تشتري، ذهبت ماشيا،كيف تمشي؟ تصور أنك حين تمشي، تحتاج إلى أخلاق وأنت تمشي، إلى أخلاق تضبط سلوكك، وتضبط معارفك، هنا لابد أن نذكر، هذا الخير العظيم الذي يلقيه الإسلام بهذا المعنى الذي ذكرته لك لا يوجد إلا في الإسلام، لا يوجد دين غير الإسلام الذي جعله الأنبياء ثم ختم بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يوجد من يعظم الاخلاق بهذا التعظيم، لا يوجد، هذه مزية خلق الإسلام بأن كلمة التوحيد كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كيف تتحدث مع والدك، كيف تأكل كيف تشرب، كل هذا خلق، كيف تتعامل إذا بعت إذا اشتريت، "رحم الله عبدًا سمحًا إذا با ع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى".

من هنا الحديث عن الأخلاق، هو حديث عن الحياة، حتى وأنت تكتب، الآن نتحدث عن رجل مفكر، كيف يكتب، أيصدق الناس فيما يكتب أم يكذب عليهم، أم

---

[26] [الأنفال: 75].

[27] [الحجرات: 13].

يصدق، عندما يتكلم في الفقه أيصدق الناس في إبلاغهم ما قاله الله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أم يكذب عليهم والصدق والكذب خلقان، متضادان، أحدهما حسن حسنه الشارع، وتحبه الفطرة ويقربه العقل وهناك خلق يقبحه الشرع ويقبحه العقل وتنفر منه الفطرة، ولذلك هنا لابد أن نفهم، أن حديثنا عن الأخلاق، هو حديث الاستمرار في الحياة، وحديث استمرار المجتمعات وأبنيتها، رأينا في قصة الملك الذي غزا القرية أن المجتمع انهار، الأخلاق، من هنا كانت الأخلاق، كانت الأخلاق سببًا لبناء الدول ودوامها، وكان ذهاب الأخلاق الحسنة وحضور الأخلاق السيئة سببًا في دمار الأمم، وهكلتها، لا تصمد الأمم، الأمم أيها الإخوة الأحبة في حالة صراع دائم، لا يوجد أمة ساكنة، لا يوجد، السكون ممنوع في داخل المجتمعات، كما أنه ممنوع في كل شيء في الدنيا، الفيزياء المعاصرة تقول، لا يوجد شيء ثابت من الكونيات، لا يوجد، حتى الذرة في حالة حركة دائمة، لا يوجد فيها ما هو ساكن، كذلك المجتمعات هذا الشيء الصغير طبقه على الكبير، لا يوجد مجتمعات بلا فتنة بلا لا يوجد واحد يبقى مدى الحياة وهو يسيطر على الحياة كلها، ويستقر له الأمر، هذا أمر الثبات والدوام متعلقة بواحد، صفة لواحد وهو الله عز وجل، وأما خلقه فهم متغيرون، في كل وقت وفي كل حين، وفي كل وقت في بلاء، كذلك المجتمعات في حالة بلاء، وتقوى هذه الأمم في صد عادية البلاء، من خلال الأخلاق، وتصبح هشّة وسريعة الكسر إذا ضعفت فيها الأخلاق، لبنة في داخلها ضعفت، ونحن نرى أن الحاكم عندما يطبق أمر الله، يطبق الصدق والأمانة والعدل، هو إنما يطبق أخلاقًا، وكذلك المجتمع عند يعامل مع بعضه إنما يطبق أخلاقًا، ومن هنا تأتي قيمة الأخلاق في بناء الإنسان، بناء الإنسان الواحد.

القضية لا تتعلق بأمر وعظي بل يتعلق بأمر كوني يجب أن نهتم به، وهنا نأتي لقضية ربما عرّضت عليها تعريضًا لكن لابد أن نأتي إليها تمام الحديث، وهي قضية إيجاد البيئات الملائمة لبناء الأخلاق، إيجاد، يجب علينا أن نهتم ليس فقط أن نقدم الوعظ فقط، ولا أن نقدم النماذج ولكن كذلك نصنع البيئة التي إذا دخلها المرء ووُجد فيها، لو كان فاسدًا انصهر بداخلها انصهار الصلاح والتقوى. كما أننا إذا وجدنا صالحا، دخل بيئة فاسدة قوية في فسادها، انصهر فصار فاسدًا، هذه قضية مهمة جدًا، هناك ظروف بيئية، تتعلق

بأحوال الناس، تنشئ أخلاقًا حسنة، وهناك ظروف بيئية تنشأ في الناس تُنشئ بيئة سيئة وأخلاقًا سيئة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تعظيم الأخلاق

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونصلي ونسلم على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو اللقاء السابع، من سلسلة الأخلاق في الإسلام، أو موسوعة الأخلاق، وتكلمنا في الدرس الفائت عن أعظم الأخلاق في الإسلام، وأرجعنا أن جميع الأخلاق تعود إلى أربعة أخلاق، قلنا هي: الصدق، الأمانة، والشجاعة والكرم. وأرجعنا هذه الأخلاق إلى خلقين، الخلق الأول الصدق، والأمانة، وأرجعنا الخلقين إلى خلق عظيم وهو خلق الصدق، فأعظم الأخلاق هو الصدق، وهذا ما ينبغي أن نعتني به والناس يفرطون فيه.

يعني للأسف حتى أمثلة الناس، تدعو إلى الكذب، ويقولون أن الكذب ملح رجال، ونعوذ بالله من هذا، والله أنه وقود جهنم، ودليل ذلك أن كل شيء يعود إلى الصدق قوله ﷺ :" وإن الصدق يهدي إلى البر"والبر هو كل عمل أمر به الشارع، كل عمل أمر به الشارع، فكل بر يعود إلى الصدق، والبر يهدي إلى الجنة، فأساس انطلاق المرء في عبوديته لله، في مسيرته إلى الجنة، في مسيرته إلى إرضاء الله، في مسيرته إلى محبة الله أن يصدق، ولذلك كما ذكرنا، أول خلقين دلا على نبوة رسول الله ﷺ، هو الصدق والأمانة، الصادق الأمين، وهذا ليس خاصًا بالنبي ﷺ، ليس خاصًا، الله عز وجل مدح إبراهيم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41)﴾[28]، ومدح سبحانه وتعالى إسماعيل عليه السلام قال ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54)﴾[29]. ومدح إدريس عليه السلام في قوله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56)﴾[30].

والله عز وجل مدح الرسول فقال ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾[31] رأينا هذا الحديث أن

---

(28) [مريم: 41].

(29) [مريم: 54].

(30) [مريم: 56].

(31) [الزمر: 33].

الصـدق يهـدي إلى الـبر، هـذا مـأخوذ مـن قولـه سـبحانه وتعـالى فيمـا ذكـرنا وفي الـدرس الفائـت، في قولـه سـبحانه وتعـالى ﴿وَالَّـذِي جَـاءَ بِالصِّـدْقِ﴾[32] فكـل مـا جـاء بـه الرسـول ﷺ هـو الصـدق، انظـر كـل الأخـلاق تعـود إلى الصـدق، كـل الأخبـار تعـود إلى الصـدق، كـل الأوامـر تعـود إلى الصـدق، ﴿وَتَمَّـتْ كَلِمَـتُ رَبِّـكَ صِـدْقًا وَعَـدْلًا﴾[33] ولمـا مـدح الله عـز وجـل عبيده قال ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[34].

إذن أسـاس فسـاد المسـلمين هـو أن ينتشـر بيـنهم الكـذب، أسـاس فسـاد المجتمـع أن ينتشـر بيـنهم الكـذب، حـتى لا تـدري مـن يخـبرك، انظـر الله عصـم كتابـه ﴿إِنَّا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَـافِظُونَ (9)﴾[35] عصـمه مـن التغيـير، لكـن أيـن الفسـاد في الحـديث، أيـن فسـاد الحـديث؟ في الكـذب، أو أن رجـلا يهـم وهـذا نـوع مـن أنـواع عـدم الصـدق، الرجـل الـواهم يحـدّث علـى جهـة اليقـين، وذكـرنا هـذا في الـدرس الفائـت أن مـن الصـدق أنـك إذا وهمـت أن تقـول"وأنا واهـم في هـذا"، لأن لا يؤخـذ منـك علـى معـنى اليقـين الـذي تخـبر بـه، فـأين الفسـاد دخـل؟ في الحـديث دخـل في الكـذب، وأيـن الفسـاد دخـل في الفقـه، في الكـذب علـى الله عـز وجـل، وكـل فسـاد" وَإِنَّ الكَـذِبَ يَهْـدِي إِلَى الفُجُـورِ، وَإِنَّ الفُجُـورَ يَهْـدِي إِلَى النَّـارِ} إلى جهـنم، أي يوصـل إلى جهـنم، فلـذلك لابـد مـن الاعتنـاء بهـذا الخلـق، أن نـربي أبنـاءنا عليـه، والنـاس يكـذبون ويغلطـون في هـذا، في دعـواهم أن الأصـل في الأطفـال الكـذب، هـذا غـير صـحيح، لكـن الآباء إمـا أنهـم يلقنـونهم الكـذب دون أن يـدروا، حـتى في بسـماتهم، حـتى في لحظـاتهم، في كلمـاتهم في خطـواتهم في سـلوكهم، فالصـدق يكـون كـذلك في الفعـل، ولمـا جـاء الغـزالي إلى المنجيـات، وذكـر الصـدق، ذكـر الصـدق حـتى في الأخـلاق، الصـدق في العزيمـة، الصـدق في المراقبـة، في التعامـل مـع الله، جعـل الصـدق هـو الشـامل لسـلوك الإنسـان كلـه، ومـا فسـدت الأمـة إلا بالكـذب، اليـوم الكـذب يفسـد علـى النـاس، يعـني عنـدما يأتي الفقيـه فتنقـل لـه صـورة كاذبة عن واقع ما فيفتي عليها، مالذي دمّر هذه الفتوى أن تصيب الحق، هو الكذب.

---

[32] [الزمر: 33].

[33] [الأنعام: 115].

[34] [الأحزاب: 23].

[35] [الحجر: 9].

المتدينون عند خصوماتهم مع بعضهم لو أنصفوا وصدقوا لما بلغ الواحد منهم عن عدوه إلا الحق، وإلا الصدق، ومع ذلك لا تجد هذا، يغفلون عن هذا، يغفلون عنه، إرادتهم متوجهة إلى فساد تصوراتهم، وحتى شهادة الزور.

ما هي شهادة الزور؟ شهادة الزور كذب، أساسها الكذب، ألا لعنة الله على الكذابين، فلذلك ينبغي أن نبثّ هذا الخلق، وأن نربي أنفسنا عليه وأن نتحدث معه باعتبارنا مرضى، الكذب مرض خطير جدًا يفسد الإنسان، يُفسد المسلم، يُفسد عبادة الإنسان، كيف لما قلنا بأن الأخلاق لا تتجزأ، كيف تصدق مع الله في أن تقول الله أكبر، ثم تكذب على الناس عندما تخرج من الصلاة وتقول السلام عليكم، فتكذب على الناس، كيف تصدق في إخلاصك مع الله في أن باطنك كظاهرك، وأنت تكذب على الناس في أن ما تعلمه غير ما تبلغهم إياه.

فلذلك ينبغي أن نبني المسلم المعاصر في يومنا وفي حديثنا وأن يكون في كل أسبوع في التجمعات في المساجد في البيوت، يجب أن يكون هناك في كل أسبوع حديث عن الصدق، والله إنه المادة المفقودة، المادة المفقودة في حياة المسلمين، اليوم أنت لا تكاد تسمع شيئًا وتصدقه، لا تكاد، وقد انتشر الكذب، وصار فنًّا، الكذب صار فنًّا، هذا الإعلام المجرم ماذا يفعل؟ يكذب، الصورة قال تكذب، الصورة تكذب، يلعبون في الصورة، لما نشرت السي إن إن صورة طائر قد غُمس في البترول، على ساحل، وزعموا أن هذا من قصف العراق لإحدى حاملات البترول في الخليج، ثم تبيّن أن هذه الصورة في المكسيك، الصورة في أمريكا الجنوبية مأخوذة، الصورة تكذب.

اليوم يلعبون فيما يسألون، هناك سؤال منتشر كثيرًا في هذه الأيام، وهو قضية الصور التي يركبونها بحيث يظهرون أنك أنت تتكلم، فيتحدثون عن جواز تكلم حتى الموتى، ينطقون صور الموتى، يجعلوها تتحرك، وهذا كله من الكذب الذي لا يجوز، كذب، هذا، اسمه كذب، وكل اقتراب من الكذب هو حرام، ليس الكذب حرام فقط، كل اقتراب من الكذب حرام.

وعلينا أن ننتبه لهذا الأمر الخطير الذي انتشر في حياة المسلمين، انتشر في بيوتهم، بين الابن وأبيه وبين الزوج وزوجته، وبين الأخ وأخيه، انتشر في داخل البيوع، يكذبون،

يتحـدثون يحلفـون الأيمـان علـى قضـايا كلهـا كـذب، فهـذا أدى إلى فسـاد المجتمـع، وأدى إلى فساد العبادة مع الله عز وجل.

نسـأل الله أن يرحمنـا برحمتـه وأن يغفـر لنـا ذنوبنـا وأن يرزقنـا الصـدق واليقـين والعافيـة في الدين والدنيا وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم.

أعظم الأخلاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هـذا هـو اللقـاء الثـامن في سلسـلة الأخـلاق، أو موسـوعة الأخـلاق، لابـد أن نتحـدث حـديثًا مهمًـا، عـن مـا هـي الأخـلاق الـتي هـي أسـاس وقواعـد بقيـة الأخـلاق، كـل الأخـلاق أصول، بـلا شـك، هـذه قضية مهمـة، لا يوجـد خلـق فرعـي غـير مهـم، ولكـن يوجـد خلـق مهـم مقابلـه أهـم منـه، كـل الأخـلاق قضـية واحـدة، يجـب أن تُؤخـذ باهتمـام ورعايـة، ولأن لا يـدخل الضـعف عليهـا، لأن كـل خلـق يتخلـى عنـه المـرء إنمـا يـدفع مـن حسـناته ثمنًـا لـه. ويُضـعف علاقتـه مـع ربـه، وعلاقتـه مـع سـنة النـبي ﷺ يضـعف علاقتـه مـع إخوانـه، كـل خلـق، لكـن هنـاك أخـلاق، تعتـبر مـن أهـم الأخـلاق، إذا وُجـدت سـهل بقيـة الأخـلاق، سـهل حضـورها وسـهل تحصـيلها، وإذا فسـدت هـذه الأخـلاق، القواعـد، فسـدت بقيـة الأخـلاق، أنا أعتقـد بأن أسـس الأخـلاق تعـود إلى أربعـة أخـلاق، سـأتحدث عنهـا الآن مجمـلًا، وأتحـدث عـن كـل واحـد وأبـين دليلـه وأثـره في الحيـاة علـى بقيـة الأخـلاق الأخـرى، أعتقـد أن أعظـم خلقـين مـن هـذه الأربعـة همـا الصـدق والأمانـة، وبهمـا اتصـف النـبي ﷺ، يعـني مـدخل النبـوة إلى الخلـق، الصـادق الأمـين، وهـذان الخلقـان إذا فسـدا، فسـدت كـل الأخطـاء، ولا قيمـة لبقيـة الأخـلاق، مـع ذهابهمـا، وبنـاء الإيمـان علـى الصـدق والأمانـة، بنـاء الإيمـان علـى الصـدق والأمانـة، أسـاس الصـدق والأمانـة، أن النـبي ﷺ اتصـف بهمـا وكانـت العـرب تصـف هـذا النـبي ﷺ بهـاتين الصـفتين، الصـدق والأمانـة، ويسـمى عنـد قـريش وعنـد أهلـه وعنـد قومـه ﷺ، بالصـادق الأمـين، ولـذلك عنـدما جـاء بالرسـالة، لابـد مـن وجـود الصـدق، يقـول أنا مبلـغ عـن الله، أرسـلني لكـم رسـولا، فحـين يقـول هـذا لابـد مـن وجـود اعتقـاد أن هـذا الرجـل لا يمكـن أن يكـذب علـى الله، ومـن هنـا، فـإن مرجـع هرقـل لمـا أراد أن يتوثـق مـن صـدق النـبي ﷺ قـال :هـل عـددتم عليـه مـن كـذب؟ هـل عـددتم عليهـا كـذبا؟ فقـالوا لا، فقـال مـا كـان ليكـذب علـى الله وقـد تـرك الكـذب علـى النـاس، انظـروا هـذه تـذكرنا بمـاذا؟ بمـا تكلمنـا فيـه سـابقا، وهـي قضـية شموليـة الأخـلاق، وعـدم تشـظيها وعـدم توزعهـا وأنهـا شـيء واحـد، في قـولهم مـن لم يشـكر النـاس لم يشـكر الله، وهنـا مـاذا قـال هرقـل؟ قـال: مـا كـان لهـذا الرجـل، أن يـترك الكـذب علـى النـاس ويكـذب علـى الله، الصـدق حالـة واحـدة، لا تتجـزأ، لا يمكـن أن تكـون صـادقًا

في جهـة مـع الله، صـادقًا في عبادتـك مـع الله، في إخلاصـك، انظـر الإخـلاص هـو الصـدق، النصـيحة هـي الصـدق، لمـاذا ؟ لأنـك تنصـحه فلابـد أن تصـدقه، إذا كانـت النصـيحة حقًـا، فلابـد أن يكـون الكـلام صـدقًا، ولا يمكـن أن تكـون هنـاك أمانـة بـلا صـدق، فلـذلك الصـادق أولا، صـفة الصـدق، لا يمكـن أن يكـون المـرء مسـلمًا إلا أن يصـدق، ويخـرج مـن النفـاق بالصـدق، في أن يبلـغ علـى لسـانه مـا يقـع في قلبـه، وأن يبلـغ مـا يشـهده عقلـه بأنـه الحـق ويشـهد لـه بالصـواب يبلغـه صـادقًا، فـإذا وجـد الاخـتلال، تم الـدمار، مـن هنـا أعظـم خلقـين يجـب علـى المسـلم أن يعتـني بهمـا في تربيتـه لنفسـه، وتربيتـه لأبنائـه وتربيتـه لإخوانـه، وتربيتـه لمجتمعه أن يتكلم عن الصدق والأمانة.

وأمـا الصـدق، فهـو ألا يقـول إلا حقًـا. وهـي صـفة مـن صـفات النبـوة، وإذا ظـن فليخـبر أنـه يظـن، وإذا تـيقن فليخـبر أنـه علـى يقـين، وإن أصـاب، فليخـبر أنـه أصـاب ويبقـى علـى صـوابه متمسـكًا ولـو جـاءت كـل الـدنيا، انتبـه هـذا صـدق، لـو أنـه علـم شـيئًا أنـه الحـق لـو جـاءت كـل الـدنيا لتغـيره مـا غيرتـه، لأنـه صـادق، ولـذلك أبـو بكـر ﷺ سمـي الصـديق، لـيس فقـط لأنـه مصـدق للنبـي ﷺ، لكنـه لأنـه صـادق، يصـدق النبي، الـذي يصـدق الصـادق هـو صـادق، لأنـه يبلـغ الصـدق علـى لسـانه، النبـي ﷺ جـاء بالصـدق وصـدق بـه، سمـى الله عـز وجـل الشـريعة، انظـر إلى هـذه العظمـة، سمـى الله عـز وجـل شـريعته، دينـه، توحيـده، سمـاه ﴿وَالَّـذِي جَـاءَ بِالصِّـدْقِ﴾ [36]، سمـاه الصـدق لأن هـذا الكـلام، ﴿وَتَمَّـتْ كَلِمَـتُ رَبِّـكَ صِـدْقًا وَعَـدْلًا﴾ [37] والعـدل هـو الصـدق، وإنمـا فُـرع عنـه لمظهـره لمظهـر آخـر مـن مظـاهره، لأن الشـريعة الـتي تصـلح النـاس هـي الصـدق، أن تكـون صـادقة في ملائمتهـا بـين الحـق وبـين النـاس، بـين الحـق وبـين البيئـة الـتي يقـول بهـا النـاس، فلـذلك الكـذب هـو مـادة الشـيطان، هـو أس الشـيطان، إذا وُجـد الكـذب، حينئـذ يُفـرّخ الشـيطان ويبـيض، وتسـقط علاقـة العبـد مـع الله، الـذي يكـذب، يكـذب علـى الله، الـذي يكـذب لا يحبـه الله، الكـاذبون هـم أبعـد النـاس عـن الله عـز وجـل، وفي الحـديث "المـؤمن لا يكـذب" والنجـاة كـل النجـاة بالصـدق، ﴿وَعَلَـى

---

(36) [الزمر: 33].

(37) [الأنعام: 115].

الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[38] ما الذي أنجاهم كما قال كعب بن مالك، ما الذي أنجاهم ؟ الصدق، فلذلك أن يضبط المرء لسانه، الذي هو السبب "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ -في جهنم- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!" مربط المرء اللسان، والكذب، الغيبة كذب، أين الكذب في الغيبة؟ وإن كانت حقًا يقول حقًا، لأن الرجل أمّنه، لأن أخاه وثق به، فأظهر ما عنده، فحينئذ عندما تغتاب تكذب على أخيك، فأساس أساس الأخلاق وعماد الأخلاق، هو الصدق، أقول هي 4 أخلاق: أذكرها: **الصدق، الأمانة، الشجاعة، الكرم**. هذه أساس الأخلاق، وأساس الأربعة خلقان، **الصدق والأمانة**، الصادق الأمين، وأساس كل هذا هو **الصدق**، أساس كل هذا هو الصدق، ووالله ما يكون الصدق في شيء إلا زانه، ولا يُنزع منه إلا خانه وأفسده وأتعبه، وإلا شانه، كما هو بيّن في حياة البشرية، ولذلك الصدق ينجي، والكذب يُذهب الحسنات، "وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"، وهذه تحتاج إلى شرح، شُرحت في أماكن أخرى، لكن أتكلم عنها في موقف آخر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[38] [التوبة: 118].

الصدق (1)

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لله ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى أهله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وتقى إلى يوم الدين جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

هذا هو اللقاء التاسع من سلسلة الحديث عن الأخلاق في الإسلام، وقفنا في اللقاء الفائت، على قضية أهمية خلق الصدق، وأنه هو ركن الأخلاق وأهم الأخلاق، والأخلاق كلها منبعثة منه، وقائمة عليه، وهذا الكلام وجدته لشيخ الإسلام ابن القيم ولشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، فأحب أن أقرأ عليكم ألفاظهما، لتروا أهمية هذا الخلق، ابن القيم بلا شك ستجدون كلامه في مدارج السالكين في منزلة الصدق، ولكن انظروا إلى كلام ابن القيم رحمه الله في هذا الباب، يقول:"الصدق منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع أعمال السالكين، والطريق الأقوم الذي لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين". تأمل هذه الكلمة: "هو منزل القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع أعمال السالكين"، الصدق، وهو يقول بعد ذلك، "هو روح الأعمال" سرها، جوهرها، أصلها، منبتها، "هو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون". والحامل على اقتحام الأهوال!

قلت لكم في اللقاء الفائت بأن جميع الأخلاق تقوم على أربعة أخلاق، وجميعها تقوم على خلقين: الصدق والأمانة، والصدق والأمانة يقومان على الصدق.

فانظر إلى الشجاعة تقوم قال هنا، ينظر إلى الشجاعة محلها الصدق، الشجاعة تقوم على الصدق، فيقول، والحامل، أي الصدق حامل صاحبه على اقتحام الأهوال.

والباب الذي دخل منه الواصلون، أعظم باب تدخل به على الله، "والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة".

نحـن نقـول الأنبيـاء والصـديقون، فـإذن الدرجـة التاليـة لدرجـة النبـوة هـي الصـديقية، قـد يقـول أحـد، مـا هـي الصـديقية أصـلا، الصـديقية كمـا يقـول القـرطبي: هـي موافقـة أقـوال المـرء لأفعالـه، في هـذه كحالـة ذاتيـة وحالـة شخصـية، وأمـا في عظمهـا فهـي: موافقـة أقـوال المـرء لكـل الحقـائق، أن تكـون أقوالـه موافقـة للحقـائق، الصـدق يطلـق كـذلك علـى العمـل، لمـا يقـول النـبي ﷺ: "والفـرج يصـدق ذلـك أو يكذبـه"، العـين تـزني وزناهـا النظـر، واليـد تـزني وزناهـا اللمـس، و.. إلخ. ثم يقـول "والفـرج يصـدق ذلـك أو يكذبـه"، الصـدق هـو موافقـة المـرء للحـق، في قولـه وفعلـه وفي أحوالـه وفي سـلوكه في جميـع أحوالـه، الصـدق هـو أن يتوافـق الحـق مـع مـا يقابلـه مـن أعمـال الإنسـان، ومـن أقـوال الإنسـان، ومـن تصـرفات الإنسـان، مـن شـهادة الإنسـان، وبالتالي هذا الخلق الذي إذا فقد من الأمة فإنه يُفقد الإسلام، يُفقد الدين.

الصـدق هـو أسـاس الإيمـان، التصـديق هـو أسـاس الإيمـان، مـا معـنى التصـديق، انتبهـوا لهـذه النقطـة، قـد يصـدق الأنبيـاء، مـا معانـه، أي أن يصـدق هـو، أن يصـدق في كـل شـيء، أن يصـدق هـو في تصـديق الصـادق، أن يصـدق هـو، لأنـه لـو قـال للصـادق أنـت كـاذب، فهـو الـذي يكـذب، فحـين يصـدق الرجـل في أن ينسـب الصـدق لصـاحبه، هـذا هـو الـذي جـاء بالصـدق وصـدق بـه، فالتصـديق مبنـاه علـى الصـدق وهـو مسـتخرج منـه مـادة ومعـنى، يستخرج مـن الصـدق أي الصـديقية مـادة ومعـنى، فـإذن درجـة الصـديقية وهـي أعظـم درجـات الشـريعة بعـد الأنبيـاء، إنمـا نشـأت بالصـدق، ويكـون الصـدق عظيمًـا بحسـب أهميتـه، ولـذلك ثلاثـة لا ينظـر الله إلـيهم يـوم القيامـة ولا يـزكيهم ولهـم عـذاب ألـيم، قـال "مـنهم ملـك كـذاب"، لمـاذا جعـل الملـك الكـذاب، وبعـد ذلـك سـنرى المراتـب تحـت الملـك، لمـاذا جعـل خصوصـية في عـذاب الملـك إذا كـذب، لمـاذا؟ لأن كذبـه أعظـم مـن كـذب غـيره، فلـذلك الصـدق تصـبح مرتبتـه عظيمـة، بحسـب الموقـف الـذي هـو فيـه، بحسـب موقـف صـاحبه، ومـا يـؤدي إليـه مـن أحـوال ومـا يـؤدي إليـه مـن نتـائج، ولـذلك قـال ﷺ لـيس كـذب أحـدكم علي ككـذب أحـدكم علـى غـيره أو علـى أخيـه، ولـذلك قـال ﷺ:"مـن كـذب علـي متعمـدا، فليتبـوأ مقعـده مـن النـار" واختلـف أهـل العلـم في الكـذب علـى رسـول الله ﷺ أيكفـر صـاحبها أم لا يكفـر، ورجـح كثـير مـن أهـل العلـم أنـه يكفـر، لمـاذا؟ لأن الكـذب علـى الله سـبحانه وتعـالى هـو تشـريع، بمعـنى أنـه يصـنع دينـا لم يقلـه الله، وأسـاس الشـرك كلـه هـو الكـذب علـى الله ﴿وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)﴾[39].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)﴾[40].

فيقول أهل العلم بأن الشارع في هذه الآية من سورة الأعراف رتب الله المعاصي ترتيبًا من الأدنى إلى الأعلى. حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا، جعل الشرك والشرك أعظم، ثم جعل بعد الشرك وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، الكذب على الله، فلذلك الكذب على رسول الله ﷺ تشريع كأنه يقول هذا دين جاء به الرسول ولم يقل به الرسول.

الملك حين يكذب إنما يؤدي إلى فساد عظيم، والفساد في أمته، يخونهم خيانة عظيمة، خيانة الرجل الذي يحمل مئة دينار ليست كرجل يحمل شريعة الله، وليس كرجل يريد أن يقيم العدل في الناس، ولذلك هذا الملك الذي يكذب، ثلاثة الذين لا يكلمهم الله، وبعد ذلك تأتي درجات، انظروا إلى شهادة الزور، ألا وهو شهادة الزور،، ألا وهو شهادة الزور، حتى قال، حتى تمنينا أنه سكت!

بمعنى رفقًا به، وهو يكرر شهادة الزور، لماذا؟ لأن شهادة الزور تفسد الحقوق، تفسد حقوق الناس، وبالتالي على المرء أن يعرف مقامه حين يتكلم، عليه أن يتعلم منذ هو صغير أنه كذب، وجريمة عند الله عز وجل، وينبغي أن ينبه عليها، وكذب الرجل في كلمة يسيرة، كذب، تسجل عليه كذبة، فمع ذلك يجب التنبيه عليها وإنما يكون الكذب بحسبه.

الأمير، الوالد في البيت، جريمة الأب حين يكذب ليس كجريمة الابن، جريمة الأم حين تكذب في بيتها ليست كجريمة ابنها، وليس كجريمة ابنتها، جريمة التاجر غير الكذبة غير المتعدية، الكذب غير المتعدي، الذي لا يتعدى أذاه على الآخرين، كذب التاجر يؤدي إلى إفساد الحقوق، كذب الرجل حين يعلم الناس، حين يجلس أمامهم، المفتي حين يكذب، إن بعض أهل العلم سمى كذب المفتي كفرًا وردة، كما قال ابن تيمية، والمفتي حين يفتي للحاكم

---

[39] [البقرة: 169].

[40] [الأعراف: 33].

كـل مـا يريـد مـن حـق وباطـل، يكفـر ويخـرج فقـد ارتـد، لمـاذا؟ لأنـه يكـذب علـى الله، وينسـب إلى الله عــز وجــل مــا لا يــرده، ولا يحبــه، ويــزعم أن الله يحــب ذلــك وهــو لا يحبــه بــل يبغضــه، ويفسـر للنـاس أنهـم علـى حـق وهـم علـى باطـل، أو يقـل لهـم أنهـم علـى باطـل وهـم علـى حـق، ولـذلك ينبغـي أن نهـتم بهـذا العضـو الـذي يـتكلم، هـذا الخلـق، الـذي هـو مـدخلنا إلى الله عـز وجـل، لا يتصـور أن يكـون العبـد عبـدًا لله وهـو يكـذب، لا يتصـور أن يكـون الرجـل عالمـا وهـو يكــذب، لا يتصــور أن يكــون أبًا عظيمًــا وهــو يكــذب، هــذا خلــق يجــب أن نهــتم بــه، وأن نقيمه في حياتنا، وأن نضبط سلوكنا فيما نقول ونفعل.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الصدق (2)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، هذا اللقاء العاشر من سلسلة الأخلاق في الإسلام وأهميتها في دين الله، وما زلنا مع خلق الصدق، لأن هذا إذا تحرر علمًا وحضورًا في أذهاننا، ثم بعد ذلك سلوكًا في حياتنا، تغيرت حياتنا كلها، تغيرت الحياة، وما نرى هذا الفساد المنتشر إلا بالكذب، الكذب في وسائل الإعلام، الكذب في مجالس الناس وأحاديثهم، الكذب في بيوعهم وشرائهم، الكذب في تربيتهم لأبنائهم، الكذب في تعاملهم فيما بينهم، الأصدقاء والإخوان، كذب الزوج على الزوجة، والزوجة على الزوج، الحقيقة أن أعظم ما يفرقنا ويبعد عنا رحمة الله عز وجل بيننا وبين الرحمة الذي يصنع هو الكذب.

ولو كان الكذب له رائحة بين الناس لكره الناس بعضهم بعضًا، ولم يجالس أحدهم الآخر، فيتبغي أن نهتم بهذا ونعرف قيمة الصدق في المواقف، الصدق في الكلمات، الصدق في الأحوال، الصدق في التصرف، انظر إلى قوله ﷺ من سأل الشهادة بصدق، بصدق، إذن ينبغي أن يقولها وهو صادق، يعني أن يسألها بلسانه وهذا اللسان شاهد على أن هذا المعنى من طلبها في قلبه، انظر هذه الموافقة، "من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"، انظر إلى عظمة هذا الموقف، إلى أن الصدق يبلغ المرء المراتب والأحوال التي لا يستطيع أن يصلها بقوته وقدرته، عندما الله سبحانه وتعالى مدح عمل الرسول ﷺ، وهذه في سورة الإسراء وكثير من أهل العلم وقد بينت هذا في شرح سورة الإسراء، أنها دالة على قضية الهجرة، ثم العودة إلى مكة فاتحًا، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80)﴾[41].

انظر الموقف، صدق الموقف هنا، رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، فهذا صدق الموقف في الحياة، أنه إذا دخل مكة دخلها وهو صادق، ينفذ موعود الله سبحانه وتعالى، ويحقق النصر لصادقه وللمؤمنين، وكذلك إذا خرج منها، خرج وهو على طريق الصدق ليقيم دين الإسلام ويقيم دولة الإسلام، ويقيم مدينة الإسلام، في المدينة،

---

[41] [الإسراء: 80].

فموقف صدق هذا، ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[42] والله عز وجل نسب الصدق لنفسه ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾[43] وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)﴾[44] هاتان الآيتان ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)﴾[45] في سورة واحدة وهي سورة النساء.

الله عز وجل نسب الصدق لنفسه لأنه يقول الحق سبحانه وتعالى، ويشرع الحق، ويعدل بين الناس بالحق، وكذلك الأنبياء، مدح الله عز وجل الأنبياء، ذكرنا في درس فائت كيف مدح الله عز وجل إبراهيم صديقًا نبيًا، وكيف مدح الله عز وجل إسماعيل، أنه صادق الوعد، وكيف مدح إدريس، وقال سبحانه وتعالى، يوم القيامة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)﴾[46].

انظر، أنه قد جاء الحق، فكان هو الصدق الذي قالوه، هذا ما وعد الرحمن أي أن يدخل عبيده المؤمنين الجنة، وصدق المرسلون في تبليغهم أن هناك جنة يدخلها المؤمنون، وقوله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم في سورة الشعراء ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)﴾[47].

انظر ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾[48]، أي لسان مدح، ولكنه مدح حقيقي، يقال فيه ما وقع من إبراهيم على الحقيقة، لأنه أسلم لله عز وجل ولأنه ضحى، ووفى، وقال كلمات، وأوفى بها، فدعا الله سبحانه وتعالى أن يكون له لسان صدق، في الآخرين، أي أن الآخرين من البشرية، تمدحه بما فيه من حق، وتمدحه ما فيه من خصال طيبة، والله عز وجل، انظر هذا تكرر في سورة يوسف، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[49] الله أكبر!

---

[42] [الإسراء: 80].
[43] [آل عمران: 95].
[44] [النساء: 87].
[45] [النساء: 87].
[46] [يس: 52].
[47] [الشعراء: 84].
[48] [الشعراء: 84].
[49] [يوسف: 46].

عندما تكون خصلة المرء هي الصديقية، يُمدح هذا النبي بأنه صديق ولم يقل كلمة بلا صدق، بل قال الصدق عليه السلام، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ﴾[50] فيقولون له ويسألونه بهذه الصفة التي تميّز بها.

وهكذا كان النبي ﷺ يسمى بالصادق الأمين، وهذا الحديث الذي ذكرناه، سابقًا، في قوله ﷺ (وما زال الرجل يصدق) هذا تفسير آخر لقضية الصدق التي تكلمنا فيها "ما زال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا" انتبه، صديقًا، أي أنه دائم الصدق، ويقول الصدق في كل المواقف، فهذه مرتبة عظيمة، يجب علينا أن نهتم بها، وأن نبتعد عما يضادها من كذب، قال ﷺ:"الصدق طمأنينة"، الله أكبر.

ماذا يصنع الصدق، قال: "الصدق طمأنينة"، ما قال طمأنينة للقائل فقط، ولا طمأنينة للسامع فقط، ولا طمأنينة للمجتمع فقط، طمأنينة، ولم يقل طمأنينة فقط في الدنيا، وليست في الآخرة، وليس طمأنينة في الآخرة وليس في الدنيا، وليس طمأنينة مقيّدة بقيد مهما كان، بل هو الصدق طمأنينة، يصنع الطمأنينة في المجتمع، أنت تأمل أنه لو كان الصدق، الرجل عندما يأتي ويخبر إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، والناس يصدقون، جاء الصادق، يطمئن القاضي، جاء الرجل قال كلمة الصدق في حق نفسه وفي حق أخيه، القاضي يطمئن، يُخرج حكمه وهو مرتاح، الآن المفتي عندما يأتي إليه السائل في زماننا هذا، تكون المشقة عظيمة في تحرير ماذا يقول من صدق، ماذا يقول من كذب، يتعب كيف يفرز الكذب وكيف يفرز الصدق، كيف يميّز بين هذا وهذا، فتكون الريبة، يكون الشك. في ما تصور وفيما نطق وفيما حكم، ولكن الصدق يصنع الطمأنينة.

(...) فسأل زوجته وهو يعلم أنها صادقة فأجابته، فاطمأن، يطمئن، سأل أخاه أين الطريق إلى هذا، ما ثمن هذا البيع، هل هو غالٍ أم رخيص، هل هو نافع أم مضر، بصنع الطمأنينة في القلب. وكذلك طمأنينة لقائله وهز من أعظم ما يطلبه، وهو أنه إذا تكلم بالصدق، اطمأن للأمر الذي هو فيه، والله عز وجل أنزل عليه من الطمأنينة، وأنزل عليه من السكينة بسبب صدقه، الطمأنينة في قبره يجيب من ربك، يجيب عما في قلبه،

[50] [يوسف: 46].

طمأنينة، طمأنينة عندما يدخل الجنة، الطمأنينة في أرض المحشر، والكذب ريبة، والريبة أقل ما تفسر به هذا تفسير أقل من دلالتها الحقيقية، الريبة هي الشك، لكنها ليس شك فقط في الأقوال، هي شك في المواقف، إذا انتشر الكذب أو كان في القوم الكذب، يحدثني بعضهم عن قرية من القرى ينتشر فيها الكذب، يقول الرجل يقول لجليسه في جلسة واحدة وهو يتكلم لا تكذب أكثر من عشر مرات، أكثر من عشر مرات يقول له لا تكذب لا تكذب، ولا يدري ماذا يقول، ما الذي جعل الأمة تنشط لتحرير علم الحديث وبيان ضعيفه من صحيحه، لوجود الكذب، يكذبون، لماذا أوجد في تاريخنا ما يسمى بالمصدق، بالمعرّف، المزكي، لابد إذا جاء شاهد من قرية من القرى، أو حي من الأحياء، فيشهد، لابد من وجود مزكي يكون هذا مزكي معينًا، من قبل القاضي في تزكية الناس أو تجريحهم، عنده في مجلس القضاء، لماذا جُعل هذا؟ لوجود الكذب والصدق، ولذلك إذا وجد الصدق، حصلت الطمأنينة، وإذا وجد الكذب، حصلت الريبة، وهذا من أعظم الأحاديث التي ينبغي أن نفهمها، والمرء إذا اتهم بالكذب مرة في كذبة واحدة، لا يحتاج أن يكذب كثيرًا ولكن يعاقب على أن يكذب ويكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا، وإذا كتب عند الله كذابا، كان كل ما يصدر منه متهم، حتى لو قال الحق (...).

هذا الخلق العظيم، علينا أن نهتم به في تربيتنا لأبنائنا، الأبناء أمر مهم، يلاحظون حركة عيوننا، وتصرفاتنا فإذا سئل والدهم عن أمر هم يعلمونه فإنهم يعرضون ما يقوله الأب عما يعلمونه، وبالتالي ينعكس هذا على الأبناء، يعني هذا الخلق، أنا أعجب، لتنكب المسلمين عنه، ولا يظنن أحد أن هذا الخلق موجود عند الكفار، للأسف يزعمون هذا، الخلق تكلمنا في اللقاءات الأولى، بأن خلقهم مبني على المصلحة، فيما هو فيه مصلحة، إذا لم توجد المصلحة، كان الكذب، وهم أئمة الكذب، هم أبناء الشياطين، هم أبناء إبليس، فالكذب عندهم كثير جدًا، وللأسف أخذناه وجعلناه دينًا، وخاصة ما يتعلق في الحياة الاجتماعية، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا، وأن يغفر لنا، وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم.

الصدق (3)

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

ذكرنا كلمة ابن القيم والآن نذكر كلمة ابن تيمية رحمه الله حين يقول عليه رحمة الله عن الصدق "هو أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها". هذه كلمة مهدية من إمام عظيم، وعائشة ﵂ تقول عن النبي ﷺ، "كان أبغض الخلق إليه الكذب"، ويقول ﷺ:"أحب الحديث إلى الله أصدقه". الله أكبر ! لأنه كل حديث يجانب الصدق فهو مرذول ومبعد ولا يحبه رسول الله ﷺ ولا يحبه الله ولا يحبه المؤمنون. وهنا لابد من النظر إلى ما يضاد الصدق. لابد أن نهتم بهذه القضية كثيرًا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".

انتبهوا الصدق يقابله الكذب والكذب هو أمر صريح فقد يكذب الرجل وهو يدري أنه يكذب وهذه هي الجريمة العظمى التي تكبه على النار على وجهه في النار وعلى منخريه في جهنم كما قال ﷺ في حديث معاذ، وإما أن يكون الرجل يحدث وهو شاك وهذا هو الظن، ما هو الظن؟ هو ميل القول إلى النفي. هذا الظن. فميله إلى الصدق هذا أغلبي. هذا صدق أغلبي. وإما أن يكون جازمًا فهذا صدق مطلق، وإما أن يميل الحديث أو الموقف إلى النهي، فهذا هو الظن، ولذلك ينشأ الظن إما بتوهم هذا المرء التوهم هذا باب من أبواب الكذب الذي ينتشر بين الناس ومن ذلك أن يتصور أن هذا الرجل لا يأتي منه الخير. فيبدأ ما يسمى من الظن هذا يبدأ يحلل المواقف على غير صحتها وعلى غير صوابها. هذا هو ظن. ولذلك سماه النبي أكذب الحديث. إياك أن تظن، إياك أن تتوهم، إياك أن يأتي في قلبك شيء من الوهم بأنك إذا أخبرت شيئا يقارب الصدق أنك عفيت من المساءلة والعذاب وجهنم. إياك. بل مجرد أن تقول قولًا لست جازمًا به وإذا أخبرت عن شيء تشك به مع غلبة ظنك أنه الحق، فتخبر المقابل، تقول أظن هذا، فإذا جزمت شيئًا جزمت به على مثل ما يُشهد به في الشمس في رابعة السماء، أن تشهد فهذا الذي

يجوز لك أن تتحدث به. أما وأنت تميل إلى نفيه، هناك من الأدلة الضعيفة التي يبنى عليها هذا الخبر فإياك أن تخبر به والنبي ﷺ يقول:"فإن الظن أكذب الحديث".

طيب قد يسأل سائل لماذا هو أكذب الحديث، والكذب يكون صريحًا في نفيه للحقيقة.

لأن الناس يميلون إليه فيكثرون منه. لأنه إذا فتح هذا الباب وهذا هو الواقع فإن الناس يكثرون منه، يأتون به على كل وجه، ويصنعونه في كل حال، وهذا أغلب حياة البشر، يمر فيرى رجلا واقفًا مع امرأة، فيبدأ هناك الزيادة ويقول رأيت فلانا يقف مع امرأة، هذه هي الحقيقة، انظر بعد ذلك كيف يصاغ حول هذه النقطة، حول هذه الذرة من الموقف، كيف تصاغ الأكاذيب، فإن الظن أكذب الحديث، ما يزاد عليها بعد ذلك هو الكذب. وإما أن يكون الكذب مقصودًا بأنه يكذب، وإما أن يكون قائلا بغير بيّنة وبغير دليل فهو كذب، فناقل الكذب كذاب في ديننا، وهو أحد الكاذبين كما في الحديث، الذي ينقل الكلام وهو يعلم أنه كذب فإنه يحدث نفس الأثر الذي يحدثه الكذاب الأول، فيجب إماتته بل رده والطعن فيه وبيان فساده.

إذا لماذا الظن أكذب الحديث؟ لأنه أغلب ما يبنى عليه الكذب ولأنه ينتشر بين الناس ويتسمحون به فكان لابد من قطع عاقبته وقطع أصله بقوله بإنه أكذب الحديث، فإن الظن أكذب الحديث.

فالذي يحدث أن الناس يجلسون مجلسًا فيتحدث فرجل سمع شيئًا على الحقيقة واليقين فهذا يخبر به. رجل يظن أن فلان يقول هذا، أنه وقف هذا الموقف، فيجب عليه أن يتبين، إن كان في ذلك أهمية، رجل واقف مع امرأة ما الذي يدخلك في الأمر، لماذا تدخل في مسائل لست مسئولا عنها عند الله عز وجل، ولست مسؤولا عنها في الخلق، فلماذا تهتم، لماذا تتعقب، لأنك إذا تعقبت وقعت في شر عظيم، وهذا التعقب فإن الله عز وجل يتعقبك، من تتبع عورات الناس تتبع الله عز وجل عورته حتى يدخله النار، ولذلك في مواقف كثيرة يحدث في هذه الحياة أن الرجل يتحدث عنك وهو يظن أنه يتحدث عن رجل آخر، ويتحدث عنك أو ينسب لك أقوالا لم تحلم بها في منامك، لم تخطر على بالك في المنام، في المنام لم تأت على ذهنك، ولا في التصور ولا في الخيال، ومع ذلك يجزموه

وتتعجب! الناس يتناقلونها، فإما أن يأتيهم اليقين على جهة الراوي والكثرة، يظن بعض الناس أن الكثرة مدعاة للحقيقة، أنه إذا جاءني من فلان وفلان وفلان، هذا لا ينفع في هذا الزمان، لأن الكثرة إنما هي الكذب، وكلها تعود إلى مصدر واحد. ومن هنا يأتي دور علم الحديث. فإن النظر إلى لو جاءنا عشر طرق ثم وصلت إلى طريق واحد، فالعلة النظر في هذه الطريق الواحدة، يعني من أين أتيت أنت بهذا الخبر، من فلان، ثم ثاني، من فلان، كلها تعود إلى واحد، هؤلاء العشرة لا قيمة لهم، هؤلاء العشرة الذين جاؤوا بهذا الخبر لا قيمة لهم، إنما تعود القيمة إلى الأول أصدق أم كذب، أصاب أم توهم. هذا هو الأمر المهم جدًا في هذا.

فالناس يجلسون إما أن يتحدثون باحاديث لا أولها ولا آخر من الصدق. وإما يتحدثون بشيء من الصدق يسير ويبنون عليه. وهذا يترتب عليه إسقاط الرجال وفساد التصور فيهم. خاصة إذا نسب إلى عالم أو نسب إلى داعي أو نسب إلى مجاهد. يجلسون يحللون يحللون حتى يعظم هذا التحاليل فيصبح حقيقة لا تستطيع أن تناقش بها. وهذا الذي وقع في تاريخنا من قتل الخلفاء وهذا يقع في تاريخنا من سقوط العلماء أنهم يتحدثون عنهم، ولو يتحدثون عنهم حتى تستقر في ذهن السامع أنها حقيقة، لكثرة ما أتى لها من أقوال. فإذا حققت وجدتها ضعيفة. وهنا يأتي دور التحقيق. التحقيق في المقالات وإياك أن تتبع بلا داعم. إياك. فهذا مفسد لك. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الصدق (4)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، هذا هو اللقاء الثاني عشر من كلامنا عن الأخلاق في الإسلام وأهميتها.

واليوم أحاول أن أختم في الحديث عن الصدق. ولا يستكثرن أحد الحديث عن الصدق لأن الناس للأسف تركوا ما هو مهم وتركوا القواعد وذهبوا إلى الفروع كما بيّنت في أول اللقاءات أن الحديث عن الأخلاق هي بناء القواعد الأسس التي يقوم عليها الإسلام. ليس كأحد أنه أطال الكلام عن الصدق، وإنما ينبغي أن نذكر به أنفسنا في كل يوم في كل لحظة لأهميته. أولا لأهميته في دين الله فقد رأينا أنه قاعدة الإسلام. أن الصدق هو قاعدة الإسلام. وثم ثانيًا وهذا للأسف نقوله صادقين مع أنفسنا لانتشار الكذب ولقلة الصدق وقلة الصدق في الحديث والمواقف في الناس في كل الاتجاهات، وخاصة ما يتعلق بالدعاة، ما يتعلق بالمفكرين، ما يتعلق بالعلماء، ما يتعلق بالمجاهدين، ما يتعلق بالإعلام، ما يتعلق بالملوك والرؤساء. الكذب اليوم هو البضاعة الرائجة وهو الذي يسيطر على حياة الناس في مواقفهم تجاه بعضهم البعض، في مواقفهم اتجاه مؤسسات ما أو دول ما أو قادة ما، الكذب اليوم للأسف هو فن، أول ما يبنى عليه الإنسان كيف يتعلم فن الكذب، التمثيل، يعني بعض الناس يقول التاريخ الإسلامي والعربي ليس في المسرح السبب أنه ليس فيه كذب، السبب في غياب المسرح أنه ليس فيه كذب لأن التمثيل كذب، فالعرب يأنفون من هذا، كما قال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه، لما كان مشركا، "ولولا أخاف أن تؤثر علي كذبة لكذبت". فكانوا يخافون من أن تؤثر على المرء الكذب وحتى يكتب عند الله كذابًا والخَلْق ينسبونه للكذب، فإذا كذب سقطت عود شخصيته الأخلاقية ومما ينبغي أن نتعلمه في زماننا هذا كيفية تحصين أنفسنا من الكذب، كيف نتوقف عن الكذب، وكيف نربي أنفسنا على عدم السير في هذا الوادي المهلك، كيف نربي وكيف نحصن أنفسنا من أن تطغى علينا الأكاذيب الكذابين. نحن نرى أن أثر الكذب على على الفتوى تصور القصة على غير حقيقتها. المجرم يصبح صالحًا ويصبح السارق مسالما والمسالم والداعي يصبح مجرمًا. الإعلام كيف نحصن أنفسنا من هذا السيل، السيل الهائل، عالم مليء بالملقيات علينا من الأكاذيب. كيف نحصن أنفسنا من هذا. الإنسان بكثرة السهام

الكاذبة عليه صار كالخداج يتأثر من أي موقف. وهذا علم ينبغي أن نتعلمه وأن ننشأ له المجاميع والدراسات في كيفية تحصيله. كيف نحصن أنفسنا من الكذب؟ هذه قضية مهمة. وكيف نكتشف الكذب في الكلام. هذا النقد عظيم الذي وجد في تاريخنا لما يسمى بعلم العلل. علم العلل علم خاص بفحول الرجال وعظماء العلماء. والعلماء كتبوا فيه بعد أن بلغوا المنزلة القصوى والعالية في علم الحديث لما هو.. ما هي أهميته أنه يبحث عن دقائق الغلط في حديث الرسول ﷺ. عن دقائق الغلط في حديث الرجال وفي أحاديثهم وفي أسانيدهم عن دقائق في داخل المتن وداخل السند. فإذًا اكتشاف الكذب هو فن عظيم ومرتبة عالية. كيف تنقد الخبر الذي يأتي إليك؟ كيف؟ ولا تنساق مع هواك إذا جاءك خبر كاذب ضد خصم لك فتقبله. هذا من الشر، وإذا جاءك خبر كاذب أو صادق ضد نفسك وضد غيرك ممن تحب كذبته ورددته، هذا كذلك من الفساد، هذا كذلك من الظن الذي يوقعك في أكذب الحديث. فعلينا أن نتعلم هذه الفنون العظيمة الربانية في قضية كشف الكذب. ماذا يقول المرء.. وهذا ينبغي.. التحصن بالدعاء والتحصن بالعقل والحضور.. مقارنة الأقوال، عرض القول على حقيقة المنسوب إليه القول، أيقوله أم لا، أتأتي منه هذه القضية أم لا، يعرض الكلام على كثير من الكلمات حتى نعرف ما هو الصدق. كأنك باحث جنائي كما يسمى في هذه الأيام. باحث جنائي. يريد كل شيء أمامه تحت الفرز وتحت الاختبار. لماذا؟ من أجل أن يكتشف الحقيقة. فهذا هذا هو العلم الذي نحتاجه في أيامنا هذه. ختامها الكلام عن حديث الصدق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾[51].

وتذكر أن أعظم ما تعاقب به بسبب الكذب، قال سبحانه وتعالى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[52].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222)

---

(51) [التوبة: 119].

(52) [الشعراء: 224-227].

يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223)﴾[53].

يعني هل هناك عقوبة في الوجود أعظم من هذه العقوبة، هل هناك عقوبة في هذه الدنيا أن تصبح أنت بسبب كذبك محطة لتنزل الشياطين؟ ماذا سيعطيك هؤلاء الشياطين ماذا سيعطونك..؟ ماذا يوحون إليك..؟ ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223)﴾[54] يلقون الأشياء، انظر هذا الكذاب تصبح أذنه مصبًّا لكل الشرور، باحثة عن كل أكذوبة لتدخل إليه ضد خصومه ضد أهله ضد بيته ضد مجتمعه وهكذا، هذه أعظم العقوبات التي يحصل عليها العبد، التي يتحصلها العبد حين يكذب، فاتق الله في نفسك، واتق الله في آخرتك، واتق الله في قلبك، فالأكذوبة سواد نكتة سوداء، نكتة تنزل على القلب فتجعله أسود. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يدخلنا في قوله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾[55]. آمين آمين. أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين.

---

[53] [الشعراء: 221-223].

[54] [الشعراء: 222-223].

[55] [التوبة: 119].

كيفية اكتشاف الكذب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله هذا هو لقاء الثالث عشر من حديثنا عن قيمة الاخلاق وما زلنا في شيء يتعلق بالصدق يتعلق بمادة الصدق لأن الصدق هو تصديق الصادق وتكذيب الكاذب. الصدق من اركانه وقواعده هو أن تصدق الصادق وأن تكذب الكاذب. ألا تصدقه فإذا صدقت الكاذب وقعت في نوع من أنواع الكذب. أنه انطلى عليك هذا الكذب. ولذلك من الفنون التي نبهنا عليها في اللقاء الفائت التي يجب أن نتعلمها هو كيفية اكتشاف الكذب.

أول قضية مهمة جدًا أنه إذا أثر عن المرء كذبا، فيجب اتهامه ولو كذبة واحدة. في دين الله عز وجل، في الحديث لو كذب مرة فيكون كاذبا لا يقبل منه قط. حتى لو تاب فلا يقبل منه بعد التوبة. عندهم عند أهل العلم. إنما الحديث عن التوبة في رجل كتب كلمة ثم تاب منها. وقلما رجل يخلو من هذه المعصية. إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى واصطفاه. فإذا أثر عن المرء الكذب فيجب أن تسقط كلامه ابتداءً، وأن يكون في معرض الرد وعدم القبول والله عز وجل قال بعد ذلك في المرتبة الثانية أن تضع كلامه مردودا قال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[56] والفاسق هنا بمعنى الكاذب الذي يكذب. فإذًا الذي يأتي كاذبًا في قول من المقال فيمتحن يمتحن قوله. لو أن رجلا علم بالكذب فرفع دعوى إلى القاضي فالقاضي مع أنه يميل إلى نفيها لما أثر عن هذا المرء من الكذب فإنه يختبرها من خلال طلب الأدلة التي إما أن تؤكد هذا الرد وإما أن تخرجها من دائرة الكذب في هذا الباب الذي يتعلق بالحقوق الى دائرة الصدق والقبول. وبالتالي الحكم بها. إذا هذا هو الأمر الأول لكن إذا علمنا أن جهة ما إنما هي تكذب وتكذب حتى تكون كقناة الكذب. أو تكون كشخص كاذب فيما يقول دائما لا يجوز قط أن تأخذ منها قولًا واحدًا، لا يجوز، بل لو جاء الصدق من قبلها وظننته فحينئذ هذا الصدق مغمور لا قيمة له في باب الكذب، وإذا أراد الله بك خيرًا جاءك الخبر الصادق من جهة صادقة تطمئن إليها.

---

[56] [الحجرات: 6].

إذا ما يتعلق باختبارنا لوسائل الإعلام الأصل فيها الكذب، لماذا؟ لأنها أنشئت على هذا المعنى، هذا ليس سرًا مكتومًا، يعلمه الخبراء ويجهله العوام، وسائل الإعلام تنشأ من خلال مؤسسات تدعمها ماليًا، وتقويها، ولذلك هي لابد أن تكون خادمة لهذا الدافع، على قاعدة الذي يدفع هو الذي يضبط اللحن، كما في الكتاب الشهير من يدفع للزمار، فالذي يدفع الثمن، المال، هو الذي يضبط اللحن، هو الذي يطلب اللحن، بمعنى الذي يدفع الثمن هو الذي يطلب نوع الكلام الذي تقوله، مؤسسات هذه قامت على الكذب، ولأنها مدعومة منهم، فبالتالي يجب أن تفهم أن هذه لا يمكن أن تأتي لك بالصدق، لأن من تمام الصدق كذلك هو أن يأتي المخبر والمحدث أن يأتي بالقضية كاملة، فإذا اجتزأها على معنى ترك الاستثناء، يقول إلا، دون أن يذكر أو يكون في الكلام استثناءً، أو يكون في الكلام اتصالا، فحينئذ يكون الكلم كذبًا. يكون الكلام كذبا. ينسب له ما لا يقول. بالتالي الأصل في هذه الوسائل أنها كاذبة، فلا يجوز لك أن تصدقها، وأنبّه هنا ألف تنبيه ينبغي أن نقوله في كل يوم، لا يجوز لك إذا كان الخبر يؤيد مقالتك وتعلم أنه كذب، أو من جهة كاذبة، أن تأخذه. وهذا الذي يقع.

اليوم الكلام عن الجماعات المسلمة، الكلام عن الشخصيات الإسلامية، للأسف تجد رجلًا يقول هذا فلان كان ماسوني، من أين مصدرك؟ يقول الجريدة الفلانية.

والجريدة الفلانية معروفة أنها مدفوعة وأنها مسيّرة ضمن نظام معيّن، وضمن نسق معروف، يقول هذا الرجل خائن، يقول كذا، كم من شخوص علمية أسقطناها، كم من شخوص فاسدة رفعناها، بسبب ماذا؟ بسبب تضخيم الإعلام، ما معنى التضخيم؟ كلمة التضخيم الإعلامي كلمة محسّنة. يستخدمون كلمات أنا لا أكذب كقاعدتهم في الدجل، أنا لا أكذب ولكن أتجمل، انظر كيف صار يتجمل، لا يكذب، قال التضخيم الإعلامي، ما معنى التضخيم الإعلامي؟ الكذب، ما معنى الستر الإعلامي، الكذب. فهذا الأمر ينبغي أن نهتم له، وأن لا نبقى يمكن أن يصدق، هذه يجب علينا أن ننهيها من أنفسنا، يمكن أن صدق هذه المرة، هذه المرة يمكن أن يصدق، كم مرة لدغنا، وكم مرة قتلنا، وماتت الأمة ودمرت بسبب هذه المقالة. لنصدقه هذه المرة، لنمشي معه هذه المرة. لنسر معه هذه المرة، وانتهت القضايا إلى جرائم، إلى مصيبة جديدة بمجرد استخدام العاطفة والتشوير

واسباغ أنه تاب وبكى وأخرج الكلمات على طريقة حزينة مبكية نتبعه ونمشي وراءه. فإذًا الاصل في هؤلاء أنهم لا يجوز لنا.. ولذلك النبي ﷺ قال من أجل هذا "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين". ما معنى ذلك؟ أنه إذا كذبه مرة فإياك أن تضع مرة ثانية. المؤمن لا يفعل ذلك لا يلدغ المؤمن. المؤمن ليس فقط قضية أنه يصدق ما جاء بالحق، ولكن كذلك يكذب ما جاء بالباطل. لابد من أن نفهم هذا. لابد أن نفهم أن الصدق هو تصديق الصادق وأن الصدق هو عدم تصديق الكاذب. هذا من الدين وليست قضية متعة فكرية ولا هي تألق فكري ولا هي تألق موقف. لا. هذا من الدين الذي يجب أن نفهمه ونعلمه لأنفسنا ولذلك هذه الوسائل الإعلامية الأصل فيها أن لا نأخذها. لكن كيفية اكتشاف الكذب وهذا من الهجوم أن نأتي إلى الكهنة أن نبينه. أن يأتي الكذب فنبين كذبه وأن نكشفه. هذا كذلك علم من العلوم يجب أن نفهمه. يعني استخدام التاريخ. العلماء... كشفنا كذب الكذابين بالتاريخ. يقول أنس جلست مع فلان وفلان هذا يكون قد مات قبل أن يلد هذا أو وهو صغير لا يحسن الجلوس ولا الفهم معه. فالتاريخ هو الذي كشف كذبه. فلذلك التاريخ هو وسيلة لكشف الكذب. معرفة الشخص وانتماءاته من أين هو؟ أين هو ؟ معرفة تقواه وصلاحه. هل يمكن أن تصدق رجلا يعني يأتي بكل الفواحش وهو ليس على ملة الإسلام ويكذب على الله بقوله ثالث ثلاثة وينفي وجود الله عز وجل كالملحدين. فكيف تصدقه ؟ فذلك لكشف الكذب كذلك طرق أن تكشف هذا الكذب وتبّينه للناس لأن كشف الكذب هو جهاد في سبيل الله. كما أن تصديق الصادق هو دين وإيمان وجهاد في سبيل الله أن تقول اتبعوا المرسلين. هذا جاء بالحق فصدقوه، هذا من الجهاد. وكذلك أن تُنفّر من الكاذب. هذا من الجهاد. لذلك يجب علينا أن نهتم نحن نحن المسلمين علينا أن نهتم بتعليم الأمة مصادر الفساد من أين يأتي الفساد؟ من أين يأتي الكذب؟ وكيف هو الكذب؟ وهذا يحتاج إلى جهود عظيمة لأنه للأسف الذي يملك المال اليوم ويملك السلطة التي تسمح بالكلام. يعني فرعون مع إجرامه الذي حدث عنه القرآن إلا أن فرعون لا يساوي شيئا من فراعنة اليوم. فرعون قبل من موسى أن يتحداه على الملأ والعلن. وقوم إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. بمعنى أنهم سمحوا للعامة أن يسمعوا. سمحوا لهم أن يخرج موسى مناظرا للسحرة

عليه السلام. ولكن هل يسمحون لك أن تجلس أنت اليوم جلسة مناظرة معهم. لا يسمحون لك. لا يسمحون. الجريمة أن تتكلم. ولا يسمحون بأن تلتقي لتحدث وأن ترد على اتهامات هم يتهمونك ويضعون العصابة على فمك ليمنعوك من الحديث. هذا هو عدلهم اليوم الذي يزعمونه. انظر إلى وسائل الإعلام. كم محطة فضائية في العالم موجودة اليوم؟ كم فضائية عربية تابعة لأنظمة طاغوتية كاذبة كاذبة كاذبة. انظر إلى اعلام الكفرة إلى اعلامهم الكاذب. يقولون الكثير عن أهل الدين وينشرون الفضائح عنهم الكاذبة والتي تحدث والتي في السر وينبغي أن تستر. لكن مع إجرامهم يأتون إلى فضائحهم فيستروها ويظهروها على عجائبها أن هذا انظر إلى كيف يقدموهم. يقدمون ملوكهم وسلاطينهم ورؤساء جمهورياتهم كيف يقدموهم. يلبسون ويبتسمون ويتحدثون. وهذا من الجهل الذي نصاب به ونتنبه لهذه القضية. هذه من أكبر الجرائم التي نمارسها: لعله يصدق اليوم. لعله يصدق اليوم. هذه كلمة يجب عليك أن نمسحها من قاموسنا. يجب على أن نمسحها من معجمنا. الذي يعرف عنه الكذب والخيانة هذا ينبذ ولا يقدم ويؤخر كما فعل أبو بكر الصديق مع المرتدين عندما تابوا لم يرجعهم إلى القيادة. نسأل الله أن يرحمنا برحمته. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الأمانة (1)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، مع اللقاء الرابع عشر من لقاءاتنا حول قيمة الأخلاق وأهميتها وعمدها[57] في الإسلام.

والآن نأتي إلى الخلق العظيم والذي هو صفة جميع الأنبياء وصفة الصالحين وهو مما يسحب من الأمة وينزع من الامة مبكرًا كما في الحديث الذي سيأتي ألا وهو خلق الأمانة. والأمانة هي إذا أردت تعريفها هي داخلة في الصدق وهي أداء من ائتمنك أن تؤدي إليه أمانته، وكما يقول القرطبي:"الأمانة تعم جميع وظائف الدين" بمعنى أن الله أمّنك أن توحده، جعل التوحيد عندك أمانة. فعليك أن تؤديه وأن تقر به وأن تلتزمه. الله عز وجل جعل الصلاة أمانة في عنقك فعليك أن تؤديها وهكذا. فلذاك هذه الكلمة العظيمة من الإمام القرطبي عليه رحمة الله قال:"الأمانة تعم جميع وظائف الدين"، والصدق عندما يضع الرجل عندك الأمانة فتؤديها ولذلك قال الله عز وجل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾[58].

عرض الأمانة وهي أمانة الدين، عرض الأمانة أن تقوم بها البشرية على وجهها الحق، عرض أمانة التوحيد وهكذا كما هو معلوم ولذلك الأمانة هي أداء حق الله عز وجل، وأداء حقوق البشر أن تؤدي إليهم الأمانة، وهذه خصلة عظيمة من خصال العظماء. الله عز وجل مدح أنبيائه في سورة الشعراء، ما من نبي إلا قال لأنبيائه إني لكم رسول أمين. أي أؤدي إليكم ما حملته لإيصاله إليكم. أؤدي إليكم ما حملته لإيصاله إليكم. فأنا أحمل هذه الأمانة. الله عز وجل أرسلني حاملا لهذا التكليف والتشريف فأنا أحمله حتى أوصله إليكم كما هو. أبلغ رسالة ربي لكم. أمانة عظيمة. النبي ﷺ الصادق الأمين، النبي ﷺ وصف بهذا أنه صادق أمين. حتى أن قريش كانت تضع عنده كما هو معلوم ومشهور بين كل المسلمين كانت تضع عنده الأمانات لأنها تعلم أنه لا يخونها ولا تخن من خانك. لا يخون النبي ﷺ يؤدي إليهم الأمانة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[59]، عليك أن

---

(57) غير واضحة في التسجيل.

(58) [الأحزاب: 72].

(59) [المائدة: 1].

تـوفي بمـا تعاقـدت عليـه أن تـؤدي إليـه حقـه الـذي ائتمنـك الله عـز وجـل إياه. الأمانـة مـع طفلـك مـع زوجتـك أنـت تحمـل أمانـة. هـذه الزوجـة أمانـة عنـدك هـذا الطفـل أمانـة عنـدك، هـذا المـال أمانـة عنـدك. أن تؤديـه كمـا أمـر الله عـز وجـل وكمـا هـو واجـب لـه ولـذلك الله سـبحانه وتعـالى مـدح المـؤمنين بقولـه {وَالَّـذِينَ هُـمْ لِأَمَـانَاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ}. يحفظـون الأمـانات يراعونهـا. وانظـر إلى هـذه الرعايـة {وَالَّـذِينَ هُـمْ لِأَمَـانَاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ} راعـون لأمـاناتهم وراعـون لعهـدهم والراعـون يعـني رعايـة أن يأخـذها ويتعامـل معهـا بحـس عظـيم مـن الإتقـان وحـس عظـيم مـن الأداء. يرعاهـا رعايـة حـتى لا يأتي إليهـا الفسـاد ولـذلك في قـول الله تعـالى ﴿لَا تَخُونُـوا اللَّهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُـوا أَمَـانَاتِكُمْ﴾[60]، لا تخونـوا الله وخيانـة الله عـز وجـل كمـا تقـدم وخيانـة الرسـول في أن تخـالف مـا عليـه ﷺ مـن سـلوك وسـنة مـن قـول وعمـل. لا تخـون الله والرسـول وتخونـوا أمـانتكم. والله سـبحانه وتعـالى يقـول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُـرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَـانَاتِ إِلَى أَهْلِهَـا﴾[61]، إذا انتشـرت خيانـة الأمانـة فسـد النـاس. النـاس يحتـاجون إلى إخـوانهم يحتـاجون إلى أبنـائهم يحتـاجون إلى أصـدقائهم يحتـاجون إلى جـيرانهم. الجـار مـؤمّن علـى جـاره. الإمـام مؤمن على صلاة الأمة وراءه. سيد العمل صاحب العمل محمّل لأمانة أداء الأجرة للأجير.

انظـر اليـوم هـذه الأيام انظـر النـاس يسـتأجرون البيـوت. هـذه خصـال موجـودة في داخـل المجتمـع. النـاس يـؤجرون البيـوت يؤمنـونهم علـى بيـوتهم ليـؤدوا إلـيهم الأجـرة بعـد ذلـك. يخونـونهم. العامـل يخـون صـاحب العمـل. يخونـه يسـرقه. يضـع عنـده باب الـرزق وأخـذ المـال وأخـذ أثمـان الأشـياء سيضـع في جيبـه ويسـرق. الرجـل يأتي، انظـروا إلى فسـاد بعـض طلبـة العلـم يأخـذون الكتـاب مـن مكتبـة فـلا يؤدونهـا ولا يرجعونهـا يسـرقونها. ويسـتبيحون ذلـك ويرونـه الجـواز والشـيطان يمثـل لهـم كثـيرا مـن الـرخص الـتي يترخصـون بهـا. صـاحب البيـع التـاجر يأتي إليـه يريـد أن يشـتري منـه شـيئًا معينًـا فيغشـه. يخـون أمانـة الله عـز وجـل الـتي حملهـا إياهـا. فلـذلك الأمانـة تـدخل في كـل حيـاة البشـر. الله عـز وجـل عنـدما رزقـك هـذا الولـد فمـا هـي الأمانـة الـتي حملـك الله إياهـا في أن تربيـه بأن تحسـن اسمـه بأن تحسـن دينـه بأن تحفظـه كتـاب الله عـز وجـل. بأن تعلمـه سـنة النـبي ﷺ. ولـذلك في الحـديث عـن حـديث حذيفـة رضـي الله

---

[60] [الأنفال: 27].

[61] [النساء: 58].

تعالى عنه أنه ذكر أنه سمع من رسول الله ﷺ حديثين. أما حديث فقد وقع وأما حديث فينتظره:"قال إن الأمانة"، هذا حديث جليل عظيم حديث ينبغي أن نهتم به وأن نشرحه ونضعه في أمام أعيننا في كل حال. انظر إلى هذا الحديث "إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال" إذا الأمانة هي وعاء الحق. هناك أخلاق بذاتها طيبة وهناك أخلاق ووعاء لأمور عظيمة أخرى وهناك أخلاق تجمع الأمرين. الأمانة تجمع الأمرين في ذاتها هي خلق عظيم وخصلة جليلة عند الله سبحانه وتعالى وهي كذلك وعاء للدين كله الدين كله موضوع في أمانة. أمانة. وهذا الحديث يدل عليه. قال:"نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن" الله أكبر. إذًا القرآن إذا نزل على الخائنين، إذا نزل على الناقضين للعهود، لا ينفع، لا ينفعهم، يفسدونه بالمعاني، يفسدونه بالتأويل، يفسدونه بالقول عليه، يفسدونه بالكذب على الله عز وجل. يفسدونه، وبالتالي القرآن نزل على قلوب أمينة، وعلى نفوس مهيأة له تحمله بحق لأنه إذا نزل لم يحملوه، حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها، كما في الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[62].الذي ينزل القرآن على قلبه وهو لا يفقهه ولا يعمل به، هذا خائن لهذه الأمانة، "إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال ثم أنزل القرآن فعَلِمُوا القُرْآن والسنة" علموه، "وتنزع الأمانة" الآن جاء عصر آخر وعهد آخر، للأسف نحن نعيشه، "وتنزع الأماة فيبيت الرجل النومة ثم يقوم وتنزع الأمانة من قلبه" انظروا بين المقارنة في هذا الحديث في نزع الأمانة وبين حديث "لا ينزع العلم انتزاعًا"، المفارقة بينهما، المفارقة بينهما مهمة، أما العلم فلا ينزع من القلوب، وإنما ينزع بموت العلماء، فيبقى الجهال، لا يرثون منهم، وهذا حديث عظيم، دلالة على أن الآن الناس لا يجلسون إلى العلماء، فإذا فسد الناس لا يجلسون للعلماء، أو أن العلماء منعوا من الجلوس من الناس، وهذا الذي نعيشه، العلماء يسجنون، العلماء يمنعون من اللقاء بالناس، فالناس ينتشر فيهم الجهل، فينزع الله العلم بنزع العلماء، أما هنا، الأمانة تنزع أو من القلب يكون الرجل أمينا، فيصبح غير أمين، هذا لا يكون بلا سبب، ولا يكون ببيئة مختلفة، بل يكون بسبب البيئة التي يعيشها، فبسرعة يتحول فتعجب، تبيعه اليوم وتشتري منه فهو من أصدق الناس، تتعامل معه فهو من أحسن الناس، في مرة ثانية

---

[62] [الجمعة: 5].

تتعجب، كيف انقلب وكيف تغير، الحديث يفسر ذلك، قال :"فينام الرجل النومة فيقوم وقد نزعت الأمانة من قلبه حتى لا يبقى إلا مثل الوكت" الوكت هو أثر الشيء، يعني يبقى فيه أثر، شيء من الأمانة، وأما الأمانة في أصلها وقوتها فقد ذهبت، "ثم ينام الرجل النومة فتنزع من قلبه الأمانة، إلا كالوجل" وما هو الوجل، يفسره الحديث، قال كجمر دحرجته على جلدك، قال:"فنفط، فهو منتبر تراه وليس فيه شيء" انظروا يبقى أثر الأمانة، وليس فيه شيء ليس فيه الأمانة، يعني يطلق عليه وصف الأمانة، أنه شيء ظاهر، لكن في حقيقته ليس من الأمانة في شيء، ثم ذكر الحديث أشياء أخرى في صفة من رآهم، لأنه يتحدث عن الحديث الذي رآه، في أنه غيّرت الأمانة، حتى في البيع والشراء، وفي السلطان وفي الملك، وفي غير ذلك، فإذًا الأمانة تنزع من القلوب، فإذا نزعت من القلوب قال "نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن ثم تعلموا القرآن والسنة"، إذًا بنزع الأمانة يذهب علم القرآن والسنة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الأمانة (2)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أهلا بالإخوة الأحبة مع لقاء جديد وهو اللقاء الخامس عشر من كلامنا وحديثنا عن الأخلاق وأهميتها وقيمتها وأسسها في دين الله سبحانه وتعالى، ونحن ما زلنا مع خلق عظيم هو خلق الأمانة. والتكرار هو سنة قرآنية وطريق قرآني لابد من التذكير لابد من التذكير لا بد من إكثار الحديث عن الأشياء المهمة والعلماء نبهونا أن الشيء العظيم يحتاج إلى تنبيه كثير لأنها سنة القرآن فإنه جاء إلى عظائم التاريخ فكرر قصصهم في القرآن، وجاء إلى عظائم المطلوبات كالتوحيد والصلاة فأكثرها من القرآن، فالذين يظنون أن كثرة الحديث عن هذه القضايا هم مخطئون. وأنا أشعر بمعاناة البعض أن الحديث عن الأخلاق هو حديث عن مهمة الوعاظ. مع أنه هو أسس الحياة وكل شيء بعد توحيد الله عز وجل وبعد الأخلاق مع أن التوحيد هو من خلق المرء الذي يتخلق به المرء كما بينا في لقاءات سابقة. فأسس من غيرها لا قيمة لكل شيء تنتجه الأمة. بل في الحقيقة أن كل منتج غير منتج التوحيد. العبادة، التوحيد وما يترتب عليه من تأليه الله عز وجل والأخلاق، إنما هو منتج فاسد ولذلك هذا الخلق الأمانة كان عليه الصحابة وسمي رجل عظيم من المبشرين بالجنة به وهو أمين هذه الأمة. من هو؟ أبو عبيدة. وسبب هذه التسمية أن وفد نجران جاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه أن يرسل إليهم رجلا أمينا. فقال لهم :"حق أمين"، "سأرسل إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين" فاستشرف الناس إليهم ولكن لما أرسل أرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه فسمي أمين هذه الأمة. تصور هذا المقام الجليل الذي بلغه بأمانته. أمين هذه الأمة. وأنت إذا نظرت هنا نأتي إلى قضية مهمة. إذا نظرت إليه رضي الله تعالى عنه فهو بلّغ الحديث القليل وكان قائدا من جيوش المسلمين وقال الفاروق عنه رضي الله عنه لأنه مات في زمانه. أبو عبيدة مات في طاعون عمواس. وفي الشام. فقال لو كان أبو عبيدة حيا لوليته. وهو من المبشرين بالجنة. فانظر إلى الأمانة حتى في الحديث الذي ذكرناه في اللقاء الفائت وهو حديث حذيفة قال حتى تمشي في الناس فيقال لك في بني فلان رجل أمين. يقال لك في بني فلان رجل أمين. بمعنى تقل الأمانة. والأشياء إنما تقل لندرتها وعظمتها. فهنيئا للإنسان

الـذي يتمثـل بهـذا الخلـق ويتصـف بـه ويحيـاه مـؤديًا أمانـة الله، مـؤديًا أمانـة بيتـه مـؤديًا أمانـة رسـوله ﷺ مـؤديًا أمانـة إخوانـه في العقـود وغيرهـا. ولـذلك في الحـديث العظـيم "المسـلم مـن سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده" قـال "والمـؤمن" انظـر هنـا الأمانـة رأينـا الصـدق، كيـف هـو جـذر في اللفـظ وفي المعنى لقضـية الصـديقية، التقـاء الصـدق مـع الصـديقية، في ثاني مرتبـة مـن مراتـب القـرب مـن الله بعـد النبـوة والآن نـرى أن الأمانـة تلتقـي مـع كلمـة الإيمـان، المـؤمن مـن أمّنـه النـاس، علـى أمـوالهم وأهلـيهم، مـن المـؤمن؟ انظـر الـدين النصـيحة، الحـج عرفـة، مـن المـؤمن؟ الـذي أمّنـه النـاس، الـذي أمّنـه المسـلمون علـى أمـوالهم علـى أهلـيهم، لم يخونـوهم بـل قـاموا بهـم كمـا أمـر الله عـز وجـل، وبالخيانـة ينتشـر الفجـور في الأرض، ينتشـر الشـك في الأرض، انظـر إذا كـان الجـار خائنًـا لجـاره، والابـن خائنًـا لأبيـه، والأب خائنًـا لابنـه والزوجـة خائنـة لزوجهـا، انظر كيـف سـيكون المجتمـع، محطمًـا بائسًـا فاسـدًا لا ينـزل عليـه إلا الغضـب الإلهـي، فـأس بنـاء الشخصـية المسـلمة الواحـدة، هـو أن يكـون الرجـل أمينًـا، أن تكـون الشخصـية المسـلمة الواحـدة، وأسـس بنـاء المجتمـع أن يكـون المجتمـع أمينًـا، والنـاس يتحـدثون في زماننـا عـن الأمـن والأمـان، ويظنـون أن الأمـن والأمـان، إنمـا ينـتج بالسـلاح والقـوة، ولـذلك يمـدحون مسـالحة الشـر والطواغيـت لأنهـم يحفظـون الأمـن والأمـان، مـع أن الأمـن والأمـان في هـذه الصـورة في غيـاب شـرع الله، إنمـا هـو الفجـور والسـرقة ولا يوجـد أمـان، ولـذلك تجـد في مثـل هـذه الـبلاد الـتي تـدّعي هـذه الصـفة وتشـير إليهـا وتفتخـر بهـا علـى حقيقـة الأمـر، وهـو لـيس كـذلك، بـل فيـه السـرقة، فيـه خيانـة العهـود، فيـه خيانـة المقامـات والوظـائف والرتـب، خيانـة، السـرقة، مـا أن يـؤمن الرجـل علـى قـرش حـتى تبحـث عنـه فـلا تجـده مـا أن يـؤمّن رجـلا يـدخل علـى بيتـه، إذا دخـل الرجـل بيـت رجـل حـتى يخونـه في أهلـه وفي بيتـه وفي مالـه. وذاك بمـا يحصـل الأمـن والأمـان... والمـؤمن مـن أمّنـه المسـلمون علـى أهلهـم وعلـى أولادهـم وأمـوالهم فلـذلك يحصـل الأمـان بمـاذا؟ يحصـل الأمـان بالأمانـة. أن يـؤدي كـل واحـد الحـق الـذي عليـه. الحـق الـذي حمّلـه مـن الله وحمّلـه في الحيـاة أن يؤديـه كمـا حملـه فيكـون أمينًـا فحينئـذ تسـلم الأرض المسـلم. ولـذلك المسـلم مـن سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده والمـؤمن مـن أمّنـه النـاس علـى دمـائهم وأمـوالهم. ويقـول ﷺ ربطـا لمـا تكلمنـا مـن قضـية ارتبـاط الإيمـان بالأمانـة، يقـول ﷺ :"لا إيمـانا مـن لا أمانـة لـه" وإن كـان هـذا الحـديث يمكـن حملـه علـى المعنى التـام، أنـه مـن

خـان أمانـة التوحيـد فـلا إيمـان لـه، مـن خـان أمانـة الصـلاة فـلا إيمـان لـه، يمحـق أصـل الايمـان، ويمكـن أن يحمـل علـى المعـنى الجزئـي، مـن لا أمانـة لـه لا إيمـان لـه، النـاس أمنـوه وهـذا أداؤه مـن الإيمـان، فـإذا ذهبـت هـذه الأمانـة ذهـب مـا يقابلهـا مـن الإيمـان. فالحـديث عظـيم دال علـى هـذه القضـية. ولـذلك مـن الأمانـة الـتي نعيشـها ويعيشـها الـدعاة أن يـؤدوا أمانـة الله بكلمـة الحـق. حملهـم الله حملهـم أمانـة قـول الحـق وقـول الصـدق وأدائهـا إلى النـاس. فيجـب أن يقولوهـا وإلا يجلسـوا، يجلسـوا في بيـوتهم ولا يقولـوا الباطـل. وكـذلك المجاهـدون علـيهم أن يحملـوا الأمانـة فيؤدوهـا كمـا هـي، وعلـى القـادة أن يحملـوا الأمانـة فيؤدوهـا كمـا هـي، ولا يخونـونهم فـإن الخيانـة مؤذنـة بعـذاب الله مؤذنـة بالفسـاد. وكمـا قلنـا في الصـدق إنمـا يهـتم بهـذه بمراتـب النـاس بحسـب مـراتبهم تكـون قيمـة الشـيء. بحسـب مرتبتـه في ذاتـه بحسـب مرتبـة مـن يؤديـه. فالخيانـة الـتي تقابـل الأمانـة. إذا جـاءت مـن العـالم أو جـاءت مـن الحـاكم أو جـاءت مـن السـلطان أو جـاءت مـن الأمـير أو جـاءت مـن صـاحب رب البيـت مـن الـزوج ومـن الزوجـة، تكـون أعظـم مـا لـو جـاءت مـن غـيرهم ممـن إذا خـانوا الأمانـة كانـت خيانـة أمـانتهم قليلـة، ليسـت علـى كثـرة و عظمة من وسد إليهم الأمر. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الكرم (1)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين آمين.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع لقاء جديد ومع قواعد الأخلاق في الإسلام وأهميتها. وتكلمنا سابقا عن أعظم خلقين في هذا الدين وهما خلقا الصدق والأمانة. وقلنا سابقا بأن جميع الأخلاق تعود إلى أربعة أخلاق في الإسلام. وفي واقع الأمر وفي قدر الخلق وأحوالهم. فتكلمنا عن خلقين والآن نتكلم عن خلق الثالث، وهو خلق الكرم، وهما خلق الكرم وخلق الشجاعة يتنازعان السبق، ولكن بلا شك أنه لا تكون الشجاعة إلا مع الكرم وإنما أصل الشجاعة الكرم، بمعنى أن الإنسان شجاع إنما يبذل نفسه والكريم هو سخي وسمح ويبذل نفسه. البذل والسماحة والجود والكرم والسخاء كلها على معنى واحد. كلها متقاربة في المعنى والعلماء يفرقون تفريقا ليس هذا بيانه، وإنما طالب العلم يرجع إليه في مظانه فسيجده مشروحا في كتب الأخلاق وفي كتب اللغة. فالقصد بأن الكرم إنما ينتج الشجاعة لأن الشجاعة هي بذل النفس. والكرم هو بذل شيئ لمن يستحقه، يقولون بأن عطاء ما ينبغي لمن ينبغي، الكرم والجود معناه أعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو قد يكون بسؤال وقد يكون بغير سؤال وهذا الخلق العظيم هو مادة الإسلام الأولى دائما أقول بأن الإسلام العظيم لا يصلح معه إلا إناء عظيم. فلو جاء هذا الدين على أقوام آنيتهم أي أخلاقهم سيئة لتحور الدين وانحرف. قد رأينا هذا الدين ينزل على أقوام فيدخلون أمزجتهم الخاصة لا تتحول أمزجتهم لتوافق أمزجة الصحابة رضي الله تعالى عنهم. فترى الناس يعني يتأولون الأخلاق السيئة على المعنى الباطل. فالشجاعة تصبح عندهم تهور والكرم يصبح عندهم إسرافا وتبذيرا وهكذا الأخلاق السيئة تجد في نفس صاحبها التأويل السيء والتأويل السيء أمر لا ينتهي. التأويل هو أساس الفساد في الوجود. أساس فساد فساده العقول والعلوم واللغة والدين والقرآن والسنة. التأويل الفاسد. ولذلك المزاج الذي يتلاءم مع هذا الدين هو

مـزاج الشـجاعة والكـرم والصـحابة ﷺ مـا اختـارهم الله عـز وجـل إلا لهتـين الصـفتين اختـار العـرب والعـرب أصـل الكـرم فـيهم في الجزيـرة العربيـة. العـرب ينسـبوا إلى جزيـرة العـرب أو مـن تكلـم بالعربيـة. فأصـل الكـرم فـيهم إنمـا جـاء مـن الأنبيـاء. وخاصـة مـن إبـراهيم عليـه السـلام وإسماعيـل. فقـد اسـتوطن إسماعيـل عليـه السـلام جزيـرة العـرب كمـا هـو معلـوم عنـدما أتـى إبـراهيم عليـه السـلام بابنـه إسماعيـل وأقامـه في واد غـير ذي زرع، فأخـذ العـرب صـفة الكـرم مـن إمـامهم إبـراهيم عليـه السـلام ومـن ابنـه إسماعيـل عليـه السـلام فسـرى فـيهم هـذان الخلقـان العظيمـان سـرى فـيهم، وذاك إبـراهيم عليـه السـلام انظـروا إلى كرمـه الـذي يحكيـه الله سـبحانه وتعـالى عنـه، ﴿فَقَـالُوا سَلَامًا قَـالَ سَلَامٌ قَـوْمٌ مُنْكَـرُونَ (25) فَـرَاغَ إِلَى أَهْلِـهِ فَجَـاءَ بِعِجْـلٍ سَمِـينٍ (26)﴾[63] وانظـروا إلى هـذه الأخـلاق العظيمـة الـتي أتـى بهـا كمـا يقـول علمـاء التفسـير وذكـر ذلـك ابـن القـيم رحمـه الله قـال: فـراغ أي ذهـب مسـرعا، لم يجعلهـم ينتظـرون ولا سـألهم مـن هـم ولا علـم مـن أيـن جـاءوا، ولكـن قـام بالكـرم سـريعا، فـراغ أي ذهـب مسـرعا وخفيـة وإلى أهلـه فجـاء بأطيـب الطعـام وأكثـره، فلـو جـاء بخـروف لكـان قلـيلا لكنـه طيـب الطعـم، ولـو جـاء ببقـرة كبـيرة لكانـت كثـيرة اللحـم ولكنهـا قليـل الطيبـة، فقـال ﴿فَجَـاءَ بِعِجْـلٍ سَمِـينٍ (26)﴾[64] ثم أتـى بـه علـى صـفة أخـرى كمـا في سـورة هـود أنـه عجـل حنيـذ، بمعـنى أنـه مشـوي أي أطابـه خـير الطعـام وطهـاه خـير الطهـي هـذا مـن إبـراهيم عليـه السـلام وكـان يوقـد النـيران علـى رؤوس الجبال ليهتدي إليه الضيفان فهو أبو الضيفان عليه السلام

ومـن ذلـك أخـذ النـبي ﷺ هـذه الصـفة خلقـا مـن أبيـه إبـراهيم وتربيـة ربانيـة مـن الله سبحانه وتعـالى والصـفة عنـده حـتى أنـه ﷺ وصـف أنـه كـان جـوادا كريمـا لا يمسـك شـيئا وكـان أجـود مـا يكـون في رمضـان كأنـه الـريح المرسـلة لا يمسـك شـيئا، والنـبي ﷺ قـال عـن نفسـه أنـه لـو ملـك مثـل جبـل أحـد ذهبـا لأنفقـه في سـبيل الله يقـول هكـذا وهكـذا وهكـذا، فكـان كريمـا ﷺ لا يحـبس شـيئا ومنـه أخـذت نسـاؤه هـذه الصـفة. عائشـة رضـي الله تعـالى عنهـا كانـت مـن أكـرم النـاس لا تحـبس شـيئا ولـو بالقليـل، تتصـدق بالقليـل وهكـذا أوصـت أختهـا أسمـاء، "لا تـوكي فيـوكي الله عليـك" فلـذلك هـذا الخلـق العظـيم نحتاجـه في زماننـا خاصـة مـع إخواننـا ومـع

---

[63] [الذاريات: 25-26].

[64] [الذاريات: 26].

أهلينـا، البخـل جريمـة كبـيرة وخلـق سـيء يميـت كـل الأخـلاق. المـرء إذا وصـف بالكـرم وإذا اتصـف بالكـرم جاءتـه كـل الصـفات تـذل لـه وتخضـع لـه وتسـير وراءه وإذا جـاء الخبـل، لم يأت معـه إلا الخصـال السـيئة. فلـذلك علـى المـرء أن يـتعلم هـذه الصـفة وأن يبـذل هـذه الصـفة وأن يبـذل مـن مالـه ومـن نفسـه ومـن عطائـه هـذا الخلـق العظـيم مـن الكـرم، هـذا خلـق يجـب أن نتصـف بـه وأن لا يمنعنـا هـذا وجـود الفسـاد في الأرض ووجـود المـدعين في الحاجـة أن نقـدم مـا عنـدنا مـن مـن المـال وغـيره ولـذلك جـاء في الحـديث إن الله جـواد يحـب الجـواد، النـبي كـان جوادا.الجـود هـو الكـرم، الله جـواد والله عـز وجـل سـبحانه وتعـالى وأحـب الكـريم. الله كـريم ويحـب الكـريم ووصـف أنبيائـه بأنهـم كرمـاء ووصـف الملائكـة أنهـم كـرام كـاتبين، فلـذلك هـذا خلـق في الله عـز وجـل وفي رسـله وفي الملائكـة وفي المـؤمنين. وكـل صـدقة تتصـدقها إنمـا تكـون عظيمـة عنـد الله عـز وجـل وتكـون لـك في الميـزان يـوم القيامـة. تأمـل هـذا، تأمـل أن الإسـلام قـام علـى قاعـدتين عظيمتـين إحـداهما الهجـرة في سـبيل الله وهـي بـذل الـنفس لله عـز وجـل، وثانيهمـا النصـرة ﴿وَالَّـذِينَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ وَالْإِيمَـانَ مِـنْ قَـبْلِهِمْ يُحِبُّـونَ مَـنْ هَـاجَرَ إِلَـيْهِمْ وَلَا يَجِـدُونَ فِي صُـدُورِهِمْ حَاجَـةً مِمَّـا أُوتُـوا وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ﴾[65] هـذه هـي الخصـال الـتي رفعـت الصـحابة الأنصـار إلى هـذا المقـام العظـيم، ﴿وَالَّـذِينَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ وَالْإِيمَـانَ﴾ كـأنهم سـكنوا الـديار وسـكنوا الإيمـان مـع الـديار، ﴿وَالَّـذِينَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ وَالْإِيمَـانَ مِـنْ قَـبْلِهِمْ يُحِبُّـونَ مَـنْ هَـاجَرَ إِلَـيْهِمْ وَلَا يَجِـدُونَ فِي صُـدُورِهِمْ حَاجَـةً مِمَّـا أُوتُـوا﴾[66] إذا إنفقـوا الأمـوال لا ينـدمون عليهـا ولا يتـأذون مـن العطـاء بـل يحبـون العطـاء ويتقربـون إلى الله سـبحانه وتعـالى فيـه ﴿وَلَا يَجِـدُونَ فِي صُـدُورِهِمْ حَاجَـةً مِمَّـا أُوتُـوا وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ﴾[67] أن يعطـون إخـوانهم مـا يحتاجونـه كرمـا منـهم وبـذلا منـهم لإخـوانهم ﴿وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ﴾[68] يعطـونهم مـع الفقـر مـع الحاجـة ولـذلك الصـدقة المحبوبـة عنـد الله أن تبـذل وأنـت صـحيح شـحيح، معـنى صـحيح أي عنـدك المـال، شـحيح أي تخـاف الفقـر، أن تبـذل المـال في هـذا المـوطن، هـذا أمـر عظـيم عنـد الله عـز وجـل، ولـذلك الصـحابة ﵃ ارتفعـت

[65] [الحشر: 9].

[66] [الحشر: 9].

[67] [الحشر: 9].

[68] [الحشر: 9].

درجاتهم بهذا العطاء، أبو بكر قال ﷺ ما نفعني الله عز وجل بمال كما نفعني أبو بكر ﷺ أو مال أبي بكر رضي الله تعالى عنه، الذي يؤتي ماله يتزكى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18)﴾[69] وكان أعظم ما ينفقه من مال على نبينا ﷺ. وهذا عثمان ﷺ عندما خاطب الثوار، قال ألم يقل النبي ﷺ:"من جهز جيش العسرة فهو في الجنة" وهو الذي جهز جيش العسرة، ثم قال ﷺ: "من حفر بئر معونة فله الجنة" هذه مكرومات عظيمة حصلت لدى الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهذا الفضل، ولذلك سبحانه وتعالى يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[70]. علينا أن نتعلم ولو بالقليل، أن نتعلم العطاء أن نتعلم البذل أن نعلمه لأبنائنا أن نعلمهم كيف ينفقون المال كيف لا يحبسونه، البخل مذمة عظيمة ومفسدة كبيرة جدًا ينبغي أن نتبرأ منها، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[69] [الليل: 17-18].

[70] [آل عمران: 92].

الكرم (2)

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين ومن اتبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين آمين.

وهذا هو اللقاء أيها الإخوة السابع عشر من حديثنا عن الأخلاق في دين الله سبحانه وتعالى وأهميتها وما زلنا مع صفة الكرم هذه هي الصفة العظيمة التي ينبغي أن نهتم بها وأن نمارسها في كل يوم في حياتنا لأن هناك ملك يصيح في كل يوم: "اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا"؛ في كل يوم فلذلك هذا الخلق يجب أن نمارسه في كل يوم عند الطاعات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[71].

تأمل أن الصدقة أن العطاء أن الكرم يكون قبل كل طاعة حتى أن بعض العلماء كابن تيمية كان إذا خرج إلى صلاة الجمعة أخذ معه شيئا من البيت حتى ولو كسرة خبز فتصدق بها. وكأن الصدقة تفتح باب الرحمة الإلهية وباب العطاء الإلهي، كأن الجود يفتح باب الكرم الإلهي. إن الله جواد يحب الجود ويحب الجواد كذلك ويحب الكرم. وأقف عند حديثين عظيمين في هذا الباب ينبغي أن نهتم بهما لنرى ما فيهما من فوائد. يقول صلى الله عليه وسلم :"لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا"، لا يجتمع الشح والإيمان كما رأينا في قضية الكذب أنه لا يجتمع الكذب مع الإيمان كذلك لا يجتمع الشح مع الإيمان. هو حبس المال لا يكون إلا بعدم الثقة بالله عز وجل وعدم محبة الأجر. لماذا الناس يحبسون المال؟ يحبسونه لمحبتهم الشديدة له. فحينئذ يعرض الأمر بين ما يحب الله وما تحب النفس، فيقدم محبة النفس وهذا ضد الإيمان الذي يحبه الله سبحانه وتعالى والمقصود بذلك الإيمان الواجب. فالبخل إنما يضيع الإيمان الواجب وهو فسق معصية هذا البخل. معصية من المعاصي علينا أن نتمثل أن الاخلاق هي عبادة لله عز وجل. وأن الأخلاق تقربنا إلى الله والأخلاق هي الإيمان. علينا أن نتعلم هذا فقوله ﷺ "لا يجتمع الشح والإيمان" فكذلك الشح لا يكون إلا... لو تأمل المرء أنه إذا أنفق يُنفق عليه. أنفق ينفق عليك".

---

[71] [المجادلة: 12].

حين يتيقن العبد على هذه قاعدة الإيمانية العظيمة"أنفق ينفق عليك"كما قال لأسماء – ﷺ –:"لا توكي فيوكي الله عليك"أي أنفقيه فينفق الله عز وجل عليك. فمن تيقن بهذا أنه بالعطاء يتم العطاء الإلهي له فحينئذ ينفق. فعدم إنفاقه دليل على أنه لا يثق بهذا الوعد الإلهي. وهذا ضد الإيمان المحبوب عند الله سبحانه وتعالى والإيمان الواجب. فعلينا أن نهتم بهذا أن نفهم أن أبواب الإيمان عظيمة جدا وأن التعامل مع الله سبحانه وتعالى إنما يكون بصفته ملكة نفس تنشأ مع الخلق ثم تنشأ مع الخالق سبحانه وتعالى. وتأمل هذا الحديث العظيم"المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم"هذه المقارنة بين حالة المؤمن وحالة الفاجر، المؤمن غر كريم والمقصود ليس المقصود أنه سفيه وليس المقصود أنه غبي ولكن المقصود بذلك أنه يتغافل أنه يتعامى عن النظر إلى الناس، لا يهتم بتعقب ذنوبهم ولا تعقب أعراضهم ولا التفتيش عليهم، يأخذ الناس بالظاهر وهذا ليس من الغباء. من هنا أنبه على قضية مهمة أن بعض الناس يقول لابد أن نفتش ولابد أن نعرف الناس هذا حاله له أسبابه في بعض الظروف نعم تفتش كمن يريد أن يتزوج ابنتك. فحينئذ تفتش عنه لأن لا تخدع. تريد رجل أن يتداين منك على الثقة والأمانة فحينئذ تتوثق منه. لكن أنت لماذا تتعقب الناس كل واحد لابد أن تعرفه في حاله. النبي ﷺ قال"إني أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر"أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر. لا يريد أن يسمع أحوال الناس وهذا هو الغر، التغافل، يعرف الناس ولكن لا يظهر أنه يعرفهم لا يشكف لهم أنه يعرفهم حتى لا يستحوا منه، لا يتأذوا منه، لا يكشف لهم.. هذا معنى الغر، وانظر كريم، يحبس سوء خلقه بقوله غر، يجبس سوء خلقه فيظهر حسن خلقه، والكريم فيظهر محاسن ماله وجيبه، فهذه صفة المؤمن، غر كريم بأخلاقه، غر كريم بماله، غر بأخلاقه كريم بماله، والفاجر خب لئيم، خب أي مخادع، ماكر، يعامل الناس مع إخفاء ما في باطنه لهم، يظهر البسمة لهم وإنما هو يخفي أنيابه التي تقطع أعراضهم ولحومهم وأحوالهم وسترهم، فالخب هو المخادع الذي يخدع الناس، يعدهم فيخلفهم، يصلي أمامهم الصلاة الجميلة، وهو يبغضهم، يتعقب مساوئهم وعيوبهم وأعراضهم فيكشفها للناس. العبد إذا كان هكذا مكر الله به وعذبه قال:"خب لئيم"قابل الكرم باللؤم، انظر ما يعارض الكرم البخل فالبخل هو لؤم نفس لا يحب أن يرى الخير على الناس ولا ما في يده أن يراه على الناس، هذه لو تمثلها العبد على

حقيقتها بمعنى أنه حين يرى أن المنع هو لؤم منه، وهذا اللؤم صفة قبيحة يتقذرها الناس وليس لها إلا ميزان جهنم يوم القيامة. الأخلاق يوم القيامة أنبه على هذه النقطة، الأخلاق التي في الصدور كالتغافل كالإحسان إلى الناس كالكرم هذه يوم القيامة تخرج من القلوب فتتمثل على صورها من الحسن والقبح إذا كانت حسنة فحسنة وإذا كانت قبيحة قبيحة فتخرج حتى يراها من نفسه فكيف تحب أن يكون ما في قلبك، كيف تحب أن يستخرج ما في قلبك من الخيرات. فهذا حديث عظيم في هذا الباب ينبغي أن نتمثل به والله عز قال ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[72] والصدقة قبل أن تقع ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)﴾[73] فالله سبحانه وتعالى يعطي منفقا خلفا، يعطيه ويكرمه، والله ما رأيت سبيلا للرزق أعظم من سبيل العطاء، أعظم سبيل لتحصيل الرزق هو أن تعطي أن تكرم أن تقدم، والله عز وجل، إنما الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير، كأنك تعطي ربنا سبحانه وتعالى فيعطيك الأجر مع أنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين جل في علاه، ولذلك الله عز وجل جعل البر جعل البر ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[74] لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. البر هو خصلة عظيمة خصلة حسنة يحبها الله عز وجل، ومجموعها في الأبرار، الأتقياء، العباد، لن تنالوا البر أي الحسنى، من الأخلاق والحسنى من الصفات والحسنى من العبادة، حتى تنفقوا مما تحبون، والصحابة ﷺ، إنما جاهدوا للكرم الذي في قلوبهم وصاروا أنصارا بسبب الكرم الذي في قلوبهم وانتشرت الرحمة التي أنزلت رحمة الله على المدينة، بسبب الكرم، هذه الآية لما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[75] ماذا فعل أبو طلحة الأنصاري، زوج أم سليم رضي الله تعالى عنها، ذهب إلى بيرحاء أحب أمواله إليه فأنفقها ووزعها، هذه الصفة التي ينبغي أن تقوم بين الناس بين الإخوة بين الأحبة، والشيطان يعدكم الفقر، هذا البخل صفة من صفات دعوة الشيطان، يعدكم الفقر، ومن وعده الفقر لم يتيقن على وعد الله عزوجل، فلذلك علينا أن نتعلم هذا

[72] [البقرة: 261].
[73] [البقرة: 261].
[74] [آل عمران: 92].
[75] [آل عمران: 92].

الخلـق، وأنمـا الصـبر بالتصـبر، هكـذا الكـرم، فهـو بالـتعلم، أن تـتعلم الكـرم، أن تنفـق أن تعطـي، أن تـتعلم كيـف تبذلـه، وكلنـا وكـل النـاس يحبـون المـال، ولـذلك قـال تعـالى حـتى تنفقـوا مـا تحبـون، وكـل النـاس كـذلك ينفقونـه، أسـأل الله سـبحانه وتعـالى أن يرحمنـا برحمتـه، وأن يجعلنـا مـن أهـل كرامتـه، فـوالله أن تكـون مكرمـا مـن الله سـبحانه وتعـالى، هـذا لا يكـون إلا بأن تكون كريما.

سبحانك اللهم بحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الشجاعة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين مُحَمَّد..

أهلا بالإخوة الأحبة مع اللقاء الثامن عشر من لقاء حديثنا عن الأخلاق وهو تكملة للقواعد الخلقية الأربعة التي تكلمنا عنها وهي أصول الأخلاق في هذا للدين ألا وهو خلق – الآن نتحدث عن الخلق الرابع في هذا الباب– وهو خلق الشجاعة. والشجاعة لا تحتاج إلى تعريف، الناس لا يحتاجون إلى أن يعرفوا الشجاعة فهم يعرفونها، فهو بذل النفس عند الشدة وقوة البأس عند الشدة. قوة النفس، فالشجاعة إذًا كما يقول علماؤنا هي حالة قلبية ملكة نفسية، قد قد يوافقها قوة البدن وقد لا توافقها قوة البدن. وذكر ابن القيم رحمه الله لما شرح هذا في كتابه الفروسية، ذكر بأن أبا بكر ﷺ ليس أقوى أصحاب النبي ﷺ بدنًا ولكنه أشجعهم نفسًا حتى أن علي ﷺ سأل أصحابه يومًا وهو في الكوفة: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا ولكن أبا بكر. لأن أبا بكر ﷺ لما وقف النبي ﷺ في داخل خيمته في بدر لم يقف أمام الخيمة يدافع عن خيمة النبي ﷺ إلا أبو بكر ﷺ وانظر إلى قصته في الهجرة كيف أن يمشي في هذا العراء وحيدا مع صاحبه النبي ﷺ يمشي ويدخل هذه الحجرة يدخل الغار فيفتش بيده حتى يسويه ليكون ملائمًا لحبيبه المصطفى ﷺ هذه شجاعة عظيمة ومن ذلك شجاعته رضي الله تعالى عنه وهو صاحب النبي ﷺ وصديقه وهو أخوه وإحدى وزيريه وبل أعظم الوزراء عنده، هذا الصحابي الصديق عندما ارتدت العرب وصار وضع المدينة مكشوفًا يعني في كل لحظة يخاف الصحابة في المدينة أن يغزوهم العرب وارتدت العرب قاطبة كيف كانت نفسية أبي بكر كيف كان بأس قلبه وشدة جنانه وشدة قلبه وشدة إيمانه وثقته بالله كيف كان؟ تحدى العالم أجمع أرسل جيش أسامة وأرسل الجيوش لتقاتل المرتدين ولم يرافقه أحد بقي وحيدًا لكن ثقته بالله سبحانه وتعالى/ هذه الشجاعة التي اتصف بها إنما أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم النبي ﷺ لم يقتل أحدًا بيده قط إلا رجلا واحدًا كان يتوعده أن يقتله في مكة فالنبي ﷺ يقول له بل أنا قاتلك. لأن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا ومن قتله نبي. فكان النبي ﷺ من رحمته على الخلق لا لا ينشط لهذا ﷺ لكنه كان أشجع الناس ولذلك مرة يقول أنس رضي الله تعالى عنه: فزع أهل المدينة لصوت جلبة عظيمة

فخرج الناس يركضون إلى مصدر الصوت ليروا ماذا حدث وأي شيء وقع، فوجدوا النبي ﷺ على فرس عري يعني ليس تحته ما يركب عليه وهو يقول لهم:" لا تراعوا"ثم مدح الفرس وقال:" إنه لبحر "وصفه/ وكان الفرس الذي تحته جرى إلى مصدر الصوت هو لإبي طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه. فكان إذا اشتد الوغى وحمي الوطيس واحمرت الحدق، التجأ الصحابة إلى النبي ﷺ فأخذوها من النبي ﷺ ولذلك الصحابة هم أشجع الخلق وما انتشر الدين إلا لشجاعتهم. ساروا في الدنيا ثقة بالله عز وجل وخاضوا الحروب وهم قلة قليلة في بدر وفي أحد قلة قليلة أمام الجموع الكثيرة وكذلك بعد النبي ﷺ كما في القادسية وكما في اليرموك وكما في فتح المدائن الناس الآن لا يعرفون قيمة هذا الخلق العظيم كيف فتح الإسلام بهذا الخلق كيف انتصر الصحابة شجعانا رضي الله تعالى عنهم. ولذلك ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[76] تصور أن عشرين رجل يقف لمئتي رجل. مئة يقفون لألف. ثم خفف الله عنهم مئة لمئتين وألف لألفين. ومع ذلك العدد يرهب القلوب. ومع ذلك هذا إيمان الصحابة وهذا خلقهم العظيم الذي تمثلوا به فجابهوا العالم. هذه الشجاعة التي ورثها عن النبوة، ورثوها عن النبوة العظيمة وتعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم داعيًا في مكة. الكل يتناوشه ويهدده ليقتله ومع ذلك هو يقوم بدعوة الله عز وجل. العلماء يحتاجون لهذا الخلق. الدعاة يحتاجون لهذا الخلق. المجاهدون واضح أنهم يحتاجون لهذا الخلق. فذاك خلق الشجاعة هو خلق كريم محبوب عند الله سبحانه وتعالى. والله عز وجل حين يقول سبحانه وتعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾[77]. قاتلوا لماذا..؟ من الذي يقاتل؟ وذلك حب الدنيا وكراهية الموت هذا هو الوهن هذا هو الفساد الذي يصيب القلوب. وكما أن الأخلاق جميعا بالتمرن يجب علينا أن نمرن أنفسنا على هذا الخلق. قالوا قديما كل الناس يخاف ما من أحد إلا ويخاف. ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[78] وصف الله عز وجل خروج موسى عليه السلام وقال إني أخاف أن يقتلون، ومع ذلك الخوف سيطر عليه، سيطر هو على الخوف وليس الخوف سيطر على موسى عليه السلام. فإذا وقع المرء في حالة وقع

---

[76] [الأنفال: 65].

[77] [آل عمران: 146].

[78] [القصص: 18].

الخوف في قلبه، عليه أن يصرف الخوف بالثقة بالله وعدم الخوف من لقاء الله عز وجل وأن تكون الشهادة محبوبة إليه."من سأل الشهادة بصدق بلغها ولو مات على فراشه". بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه، لماذا الناس لا يقولون الحق؟ لماذا لا ينطقون بالحق؟ كيف يتمثل المرء أن خير الشهداء حمزة والرجل قام إلى حاكم فنصحه ونهاه وأمره فقتله كيف يمكن هذا؟ ما الذي أوصل موسى عليه السلام ليدخل على هذا الطاغي الكبير فرعون فيقول له لعله يتذكر أو يخشى، فيدعوه إلى الله ويناظره مناظرة الثابت، ثابت الجنان والقوة يسأله الأسئلة فيجيبها، من ربكما يا موسى ربنا الذي أعطى كل شيء.. ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ولا ينسى.. وهو يتهدده ويعرض عنه مرة ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)﴾[79]، يستهزئ به ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)﴾[80]، يهدده فما الذي صبره؟ هو قوة القلب شدة القلب عند حضور البأس. والناس يرون السلام والهروب وهذا يرونه الحكمة وإنما هو الجن والخور. ولذلك علينا في هذا الزمان أن نتمثل بهذا الخلق وأن نتمثله تمثلا صحيحًا وهناك فرق بين الشجاعة وغيرها مما يتجاوزه الناس من الوقاحة وغيره. لكن أن يكون الرجل شجاعا وذكر قال ابن حزم أن الشجاعة هو بذل النفس للموت في سبيل الدين وسبيل العرض وسبيل الجار. للدفاع عن المكرمات إذا طلب منك مكرمة من المكارم أن تخرج وتلبي عندما تسمع جارا يدعوك أو تسمع رجلا يدعوك إلى مكرمة من المكارم للدفاع عن عرضه للدفاع عن ماله عليك أن تبذل نفسك. عندما تطلب للشهادة ولو كان في هذا الشهر ولو كان في هذه الشهادة إيذاء لك وسجن لك فلا يقع إلا ما قدره الله عز وجل عليك. كان النبي ﷺ أشجع الناس وكذلك كان الصحابة حتى لقب حمزة بأسد الله وذلك لشجاعته رضي الله تعالى عنه أسد الله وأسد رسوله. الصحابة ﷺ كانوا صارت لهم خصال عظيمة تميزوا بها وألقاب جليلة جنوها من خلال فعالهم ومواقفهم رضي الله تعالى عنهم. ولولا أن الشجاعة موجودة في العرب انظر إلى قوتهم انظر إلى شجاعة العرب. ودخلت علينا بعد ذلك الأخلاق التي تأتي من العجم فأفسدت الناس وصارت السكون

---

[79] [الشعراء: 27].

[80] [الشعراء: 29].

والركون واعتزال المكرمات صار هو الذكاء والخوف من الأذى صار هو الحكمة. فهذا خلق عظيم علينا أن نتمثل به وعلينا أن ندرب أبناءنا عليه وعلينا أن ندرب أنفسنا عليه وعلينا أن نضعه موضعه. عندما يموت المرء في سبيل دينه لا يذم لا يقال متهور عندما يقول كلمة الحق فيؤذى لا يقال عنه أنه جاهل بل يمدح.. موازين الحق في هذا...

الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع لقاء جديد من حديثنا عن الأخلاق في هذا الدين. واليوم نتحدث في اللقاء التاسع عشر عن خلق عظيم اتصف به النبي ﷺ واتصف به الصالحون ومدحه ربنا سبحانه وتعالى ومدحه النبي ﷺ. ألا وهو خلق الحياء. هذا الخلق الذي هو يعني تقريبًا له لمعناه الحشمة والناس يعرفونه يقول"فلان حيي"، والأشياء عندما تكون بينة واضحة يكون من أشق الأمور تعريفها، من أشق الأمور أن تعرف، لأنها معروفة وكما يقولون المعروف لا يعرف. فمحاولة إثبات أنك تعيش في النهار والشمس في رائعة السماء هذا من أشق ما يكون في البحث والكلام، ولذلك الحياء كله خير، جاء في الحديث مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال:" دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير"، والحياء كله خير لا يأتي إلا بخير. والحياء هو صفة عند أهل العلم وعند أهل الدين هو ملكة في النفس. ملكة. معناه شيء كامن في النفس يضبط حركتها ويضبط فعلها ويضبط قولها. ملكة في النفس تدعو إلى المكارم، إلى مكارم الأخلاق وإلى مكارم الشمائل، وإلى عظائم الخيرات، وإلى ترك المنكرات. الحيي لا يأتي المنكرات. حياء من الله، حياء من الناس، حياء من والده، حياء من أهله، حياء من عشيرته، فلا يأتي المنكرات، الحياء يدفع على الكرم لأن المرء لا يحب أن يكون بخيلا يستحي أن يقال عنه بخيل، والحيي لا يكون جبانا لأنه يستحي أن يقال عنه ذلك. والحيي لا يأتي المنكرات في الشارع ولا يأتيها، فإذا تلبس بها استحى من الله فسترها وهو يستحي من الله سبحانه وتعالى فلا يأتي إلا بخير، لأنه يستحي أن يرى نعم الله عز وجل عليه كثيرة، ونعم الله عز وجل لا تعد ولا تحصى، ثم يجابه هذه النعم بالإنكار والكفر، كفر النعمة، وعدم الإقرار بها، وعدم وضعها موضعها. فالحياء هو خلق الأكرمين. حتى أن ابن القيم له كلمة رائعة قال:"الحياء هو خاصة الإنسانية". يعني الذي يميز الإنسان عن الحيوان وعن الدواب عن الحشرات، إنما هو الحياء، الإنسان الحيي لا يأتي أهله في الشارع كما تأتي الدابة الدابة، كما يأتي الذكر الأنثى من الدواب، لا يأتي، لو كانت المرأة حية لا تخرج وهي سافرة، ولو كان رجل حييا لا يسمح لعرضه أن يخرج إلى الشارع وهي سافرة، لا يرضى بأن يخرج وهو قد كشف عوراته، ولذاك

المروءة أساسها الحياء، وأساس المروءات التي يمدح بها الناس هو الحياء، لأن لا يُذم لأن لا يُستهزأ به لأن لا يُقبّح. والنبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها كما وصف ﷺ. تصور أن المرأة التي لم تعتد مقابلة الرجال ولا ترى إلا أهلها ممن أباح الله عز وجل النظر إليهم وهي مصونة في بيتها فحين تأتيها الكلمة النابية تحمر حياء وتستتر لأن لا تسمع الشر. لا تأتي الشر هي بنفسها فقط ولكن تستحي أن ترى الشر أن تنظر إلى الفساد هذا كان شأن النبي ﷺ لا يأتي بشيء يؤذي أحدًا من الخلق مما يستقذر من صفة جسمية أو من صفات خلقية، لا يأتي، وإذا جاءه ورأى شيئا مما يُستحيا منه استحيا، حتى لو كان الفعل من غيره. كما أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة. فلما قام، قال لأصحابهمرور فليغيرها[81]، استحيا أن ينظر إلى شيء يذكره بإتيان الرجل لأهله، فهذا من حيائه صلى الله عليه وسلم وهكذا كان الصحابة حتى أن أبا بكر ذكر عنه أنه كان يستحيي إلا أن يقنع رأسه وهو على حاجته، استحياءً حياءً، ولكن استحيوا من الله حق الحياء. جاء في الأثر "استحيوا من الله"لأن الحياء خلق يبعث على المكارم على الشكر المنعم على ترك الرذائل. ويكفي ما ذكر الله عز وجل لنا من قصة ابنتي صاحب مدين ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[82] غفرة.. لا تظهر شيئا من وجهها ولا تتحرك تحرك الذي يجذب الناس، تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها، بل جاءت على استحياء ورأى منها ذلك فقبل ﷺ أن يشتغل عندهم. وذاك بالحديث الصحيح قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها الايمان بالله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"قال:" والحياء شعبة من الإيمان"، خصه بالذكر في نسبته إلى الإيمان لحاجة البشرية إليه وحاجة السامعين من مسلمين إليه. لأهميته نبه على أهميته أنه من الإيمان. الحياء من الإيمان. وحين نربط الأخلاق نربطها بالإيمان كما رأينا في الجود كما رأينا في الشجاعة كما رأينا في بقية الأخلاق، أنها مربوطة بالإيمان، الأخلاق حالة إيمانية، والإيمان هو أمر إلهي، به يوزن العبد يوم القيامة به يحسب على المؤمنين، أو يحسب على غيرهم من المنافقين، حتى أن العلماء مدحوا بهذا. كان لابن مسعود رضي الله تعالى عنه، كان له صاحب يسمى ربيع ابن

---

(81) عن أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة فكرهها. قال: فلما قام قال: لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة؟ قال: وكان لا يكاد يواجه أحدًا بشيء يكرهه {صحيح البخاري}.

(82) [القصص: 25].

خثيم، وهو مشهور بالعبادة حتى ذكر في كتب الزهد كثيرًا هذا الرجل. كان إذا جاء لبيت ابن مسعود قالت الأمة وهي تستأذن له: جاء صاحبك الأعمى. لا يرفع عينه عن الأرض، حتى يعني سمته بهذا الاسم إما على سبيل المزاح في هذه التسمية وإما على سبيل الظن به لأنه لا يرفع عينه. هؤلاء الذين يخالفون الحياء بالوقاحة. أن يكون المرء وقحًا أن يخرج منه السوء فلا يستحي. منه يقف مواقف السوء فلا يستحي من الناس. وأن يقضي حاجته. انظر إلى الشيطان يكشف عورات الناس يمنعهم من المكرمات يقوي عندهم شوكة الوقاحة والفساد. لأن لا يقع منهم هذا الخلق العظيم. فاستحيوا من الله حق الحياء. كما في الحديث الصحيح. وذاك هو كما قال هو خلق يدفع صاحبه لكل المكارم ويمنع عن صاحبه الرذائل. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرفعنا بهذا الخلق وأن يجعلنا من أهله آمين آمين.

الرفق واللين

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام المرسلين مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع خلق عظيم من أخلاق الإسلام التي ينبغي أن نراعيها في حياتنا وهي من أسس الأخلاق في هذا الدين، من أسسه وعمده بل هي من أساس وجود الحياة وسلامتها وقيامها على الفطرة السليمة ألا وهو خلق الرفق واللين. وهذا الخلق نحتاجه في كل شيء نحتاجه مع أبنائنا مع زوجاتنا مع مع أهلينا مع أصدقائنا مع أحبتنا مع إخواننا في الله هذا الخلق خلق عظيم وذاك النبي ﷺ جعله داخلا في كل شيء. هذه الأخلاق التي نذكرها هنا داخلة في كل أخلاق المرء في كل سلوكيات المرء حتى وهو يتعامل مع الحيوانات حتى وهو يتعامل مع المادة. لو أن رجلا يريد أن يصلح شيئا فمن غير الرفق يفسده، حتى لو أراد أن يتعامل مع ابن صغير من غير رفق يفسده، حتى لو أراد ان يمشي في سيارته أو على دابته من غير رفق يفسده ولذلك يقول ﷺ :"لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع الرفق من شيء إلا شانه"، تأمل هذا أن الرفق تحتاجه في كل حياتك. وهذا الرفق الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم"رحم الله سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى"،"وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره"سبحان الله ! يا على الرفق أي من العطاء ما لا يعطي على غيره من الأخلاق لعظمة الرفق والنبي ﷺ الله قال عنه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[83]، يعني هذا مدح للنبي من جهة المخالفة، أنه لم يكن كذلك فكانوا يحبونه أكثر من أنفسهم وأكثر من أهليهم يحبونه ويحبون الجلوس عنده ويحبون مصاحبته ﷺ، والله قال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[84] ولا تظنن أن رجلا قاسي المعاملة مع الناس هو لين القلب، القرآن يقول ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[85] فظا أي في سلوكك غليظ القلب، إما أنه مشارك له وإما أنه سببه، يعني تكون غلظة القلب سببا لفظاظة الأقوال والمواقف مع الناس، غلظة القلب

---

[83] [آل عمران: 159].

[84] [آل عمران: 159].

[85] [آل عمران: 159].

شـدة، شـدة القلـب، النـبي ﷺ كيـف كـان يتعامـل مـع النـاس كيـف كـان يتعامـل مـع أزواجـه؟ بالرفـق، اليـوم البطولـة والشـجاعة والرجولـة عنـد النـاس أن يتعامـل بالخشـونة مـع زوجتـه وكأنها رجولـة. التعامـل مـع الأطفـال كمـا قـال أحـد الأعـراب للنبـي ﷺ : إِنَّ لِي عَشـرةً مِـنَ الْوَلَـدِ مَـا قَبَّلْـتُ مِـنْهُمْ أَحـدًا. وَعِنْـدَهُ الأَقْـرعُ بْـنُ حَـابِسٍ. فقـال مـاذا أفعـل إذا نـزع الله عـز وجـل الرحمـة مـن قلبـك. الرفـق سـببه الرحمـة علـى ورحمـة العبـد علـى النـاس، والراحمـون يـرحمهم الـرحمن، اليـوم تحـت هـذا الخلـق، اليـوم ضـده يمـدح عنـد النـاس، إذا كـان شـديدا صـلبا مـع إخوانـه. وذكـر الله عـز وجـل وصـف المـؤمنين ﴿أَذِلَّـةٍ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ﴾[86] أذلـة أذلـة. الذلـة مـع المـؤمنين، الذلـة مـع الزوجـة الذلـة مـع الولـد الذلـة في الحيـاة هـذه مكرمـة وليسـت ضـعفا. إنمـا العـزة علـى الكـافرين أن تكــون عزيــزا علــى الكــافرين أن تكــون قــويا في دينــك أمــام الفــتن. لا كثــير الصــخب والصـراخ حـتى ينفـر النـاس منـك ولا يحبـون الجلـوس معـك. تأملـوا رحمتـه ﷺ ولينـه ورفقـه. مـا ضـرب يومـا عبـدا ولا طفـلا بيـده قـط ﷺ.. مـا ضـرب.. هـذا هـو النمـوذج لا تقـدم لي نمـاذج أخـرى. هـذا هـو النمـوذج العظـيم الـذي ينبغـي أن تقتـدي بـه، حـتى قـال أنـس رضـي الله تعـالى عنـــه"خـــدَمْتُ رســـولَ اللهِ صـــلَّى اللهُ عليـــه وســـلَّمَ عشْـــرَ سِـــنينَ، فمـــا قـــال لي: أفٍّ قـطُّ"و"أُفٍّ"معناهـا ضـجر"أف"أتضـجر، يتضـجر، فلـم يقـل لـه، لم يتضـجر منـه قـط، ولا وجـد في قلبـه شـيء، حبسـه وأظهـر لـه السـرور، لأنـه يربيـه،"ولا قـال لي لشـيء فعلتـه لمـا فعلتـه ولا لشيء لم أفعله هلا فعلته"، عشر سنين، هذا خلق النبي ﷺ.

وانظـر إلى رفقـه مـع نسـائه مـع غـيرتهن الشـديدة ويراجعنـه. يقـول مـرة عمـر راجعتـه زوجتـه فغضـب، قـال تـراجعيني؟ قالـت نسـاء النـبي يراجعنـه. فـذهب وسـأل ابنتـه حفصـة فوجـد أن الأمـر كمـا قالـت يراجعنـه. مـا معـنى يراجعنـه؟ يعـني يتحـدث الحـديث فيقابلنـه بمثلـه. هـلا فعلـت كـذا، أجـل الموضـوع، هـذه مراجعـة، لـو قـال لهـا مـثلا افعلـي كـذا.. ولمـا راجـع علـي ﷺ راجـع النـبي ﷺ لمـا قـال: ألا تصـليان، فقـال لـه علـي ﷺ لمـا جـاء وجلـس بـين فاطمـة وعلـي رضـي الله عنهمـا، فقـال: ألا تصـليان؟"، قـالوا: يا رسـول الله أرواحنـا بيـد الله إن شـاء قبضـها وإن شـاء أرسـلها. فخـرج النـبي ﷺ يقـول: "وكـان الإنسـان أكثـر شـيء جـدلًا". هـذه مراجعـة، فلـم يكـن ﷺ يغضـب إلا لله. كـان حليمًـا هينًـا مـع الخلـق. وهـذا مـا نحتاجـه مـن أجـل سـلامة

---

[86] [المائدة: 54].

الأخـوة في الله. الأخـوة في الله قيمـة عظيمـة. تربيـة الأبنـاء أحسـن طريقـة لتربيـة الأبنـاء هـو الرحمـة عليهم، الرفـق بهـم. النـبي ﷺ يأتي إليـه الصـبي وهـو سـاجد إمامـا للنـاس فـيجلس عليـه. قـال لا يريـد أن يريعـه لا يريـد أن يعجـل عليـه أن يرفعـه لـئلا يسـقط الولـد فيعجـل ذهابـه حـتى ينهـي لعبتـه وينهـي متعتـه في الصـعود ظهـر النـبي ﷺ. أي خلـق هـذا. فـالرفق واللـين خلـق نحتاجـه في حياتنـا نحتاجـه مـع زوجاتنـا مـع أبنائنـا مـع إخواننـا. علينـا أن نضـبط أنفسـنا بهـذا الخلـق. أن نضـبط أن نشـد علـى إرادتنـا الـتي تنـزع إلى أن نكـون شـياطين. لأن مـا يقابـل الرفـق إنمـا هـو الغلظـة وهـو صـفة مـن صـفات غـلاظ القلـوب الـذين يبغضـهم الله عـز وجـل. فـالله يـبغض الألـد الخصـم الـذي يكثـر الخصـام والمنـاظرة. ولـذلك النـبي ﷺ قـال:"بشـروا ولا تنفـروا ويسـروا ولا تعسـروا"، وهـذا حـتى في الفتـوى. قـال ﷺ: "شـر الرعـاء الحطمـة".. الرعـاء.. مـن هـذا الكـأس مـن هـذا المكـان إلى هـذا المكـان أنـت راع علـى هـذه المهمـة. فعليـك أن لا تكـون علـى مـا قـال الله عليـه وسـلم: "شـر الرعـاء الحطمـة"، مـا معناهـا؟ الرعـاء جمـع راعـي، الحطمـة أي الـذي يمشـي في النـاس فيسـرع بهـم حـتى يحطـم بعضـهم بعضـا، حـتى يتحطمـوا، وأنـت تـدفع النـاس تـدفع النـاس في النهايـة سيسـقطون. لـذلك ﷺ قـال:"إنمـا بعثـتم ميسـرين ولم تبعثـوا معسـرين" لا تحملهـم علـى مـا لا يقـدرون عليـه. وصـدقني أن المـرء الـذي يحمـل الآخـرين علـى مـا لا يقـدروا عليـه يكـون هـو مقصـر لكنـه يتمثـل بهـذا الخلـق السـيء الـذي لا ينبغـي أن يتمثـل بـه. "ومـن يحـرم الرفـق يحـرم الخـير". تأمـل هـذا الحـديث الجـامع هـذه أخـلاق جامعـة. "مـن يحـرم الرفـق يحـرم الخـير" ومـن أعظـم مـا يحـرم هـو الإخـوة في الله الـتي عظمتهـا عنـد الله عـز وجـل في قولـه ﷺ :"ورجـلان تحـابا في الله اجتمعـا عليـه وتفرقـا عليـه"، أعظـم.. تحـرم الرحمـة الإلهيـة "الراحمـون يـرحمهم الـرحمن"، تحـرم رحمـة الله عـز وجـل. ولـذلك ينظـر إلى إبـراهيم السـلام ﴿قَـالَ أَرَاغِـبٌ أَنْـتَ عَـنْ آلِهَـتِي يَا إِبْـرَاهِيمُ﴾[87] قـال لـه والـده: قَـالَ ﴿أَرَاغِـبٌ أَنْـتَ عَـنْ آلِهَـتِي يَا إِبْـرَاهِيمُ لَـئِنْ لَمْ تَنْتَـهِ لَأَرْجُمَنَّـكَ وَاهْجُـرْنِي مَلِيًّـا (46)﴾[88]، قـال أراغـب أنـت عـن آلهـتي يا إبـراهيم؟ فمـاذا رد عليـه؟ مـاذا بعـد هـذا؟ هـذا التهديـد.. مـاذا رد عليـه إبـراهيم قـال ﴿قَـالَ سَـلَامٌ عَلَيْـكَ سَأَسْـتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّي﴾[89]، انظـر هـذا الـرد الجميـل، رد الولـد علـى علـى أبيـه،

[87] [مريم: 46].

[88] [مريم: 46].

[89] [مريم: 47].

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[90]، اللين والرفق في الكلام والمواقف هو ما نحتاجه في زمننا هذا.. أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

---

[90] [لقمان: 15].

الشكر

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين آمين.

ما زلنا أيها الإخوة الأحبة مع أخلاق الاسلام العظيمة وقواعد الأخلاق العظمى في هذا الدين ومع اللقاء الواحد والعشرين مع خلق الشكر. وهذا خلق من أخلاق الإيمان. فحالة العبد في هذه الدنيا بين أمرين كما في الحديث. بين أن يقع عليه مصيبة فيحتاج إلى الصبر. وهذا سنتحدث عنه في درس قادم إن شاء الله سبحانه وتعالى. وبين نعم تنزل عليه وهي الأكثر والأبلغ والأعظم. فيحتاج إلى خلق الشكر ولذلك الإيمان أيها الإخوة الأحبة إنما يقوم على شكر المنعم. وما حدثنا الله سبحانه وتعالى. ما حدثنا جل في علاه عن نعمه علينا إلا أن نشكره ولذلك قال سبحانه وتعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)﴾[91] وقد ذكر نعمه سبحانه وتعالى من أجل أن نشكره. وعدنا بالشكر فقال ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[92] وعد أنه إذا شكرنا ليزيد. والشكر خلق كما ذكرنا في لقاء سابق خلق وملكة لا يمكن أن تجزأ وفي الحديث "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" فإذا عليك أن تشكر الناس الذين ينعمون عليك وخاصة الوالدين والأحباب والأصدقاء. هؤلاء لهم حق الشكر عليك. بأن بأن تقوم بما يجب من شكرهم ومن ذكر فضلهم عليك ومن اعتراف بهذا. الاعتراف. لأن من لا يرى يدًا صغيرة حاضرة ظاهرة بيّنة تنعم عليك. من لا يراها لا يرى يد الغيب. حتى ولو كثرت نعمها عليك. ولذلك هذا الخلق الله عز وجل أحبه فسمى نفسه به فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)﴾[93]، ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17)﴾[94] وقال سبحانه وتعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

---

(91) [البقرة: 152].

(92) [إبراهيم: 7].

(93) [النساء: 147].

(94) [التغابن: 17].

(147)﴾[95] وذكـر صـفة الشـكر في مـوطنين مـن سـورة فـاطر سـبحانه وتعـالى ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)﴾[96] وقولـه سـبحانه وتعـالى ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)﴾[97]. فصـفة ممدوحـة والله عـز وجـل صـفاته الحسنى، ولا يمكـن أن يأتيهـا شـر قـط مـن أي جهـة جـاءت، فهـي صـفة يحبهـا الله عـز وجـل في الخلـق كمـا يحبهـا مـن نفسـه سـبحانه وتعـالى جـل في عـلاه، وذكـر الله عـز وجـل ذكـر نعمـه ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[98] لمـاذا؟ قـال ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)﴾[99] فـذكر هـذه الـنعم وأقامهـا مـن أجـل أن يقـع الشـكر. ولـذلك أفضـل دعـاء للعبـد هـو أن يقـول الحمـد لله. وأفضـل الـدعاء الحمـد لله. لأنـه بحمـده لله عـز وجـل يـؤدي حـق الله. فـالله يفـرح فيعطيـه الله سبحانه وتعـالى المزيـد مـن العطـاء والكـرم. عـد الله عـز وجـل علـى رسـوله ﷺ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)﴾[100] فهـذه نعـم الله عـز وجـل يعـدها علـى رسـولنا ﷺ، والـنعم علـى رسـول الله ﷺ هـي نعـم علينـا لأنـه إمامنـا ومـن كـان إمامـه عظيمًـا كـان مكرمًـا مـن الله سـبحانه وتعـالى. قـال سـبحانه وتعـالى ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114)﴾[101]. تأمـل هـذا بأن الشـكر مربـوط بالعبـادة ولا يمكـن أن تقـع العبـادة بغير شـكر. فـإن العبـاد إنمـا هـي أداء حـق الله عـز وجـل. أن تعبـد الله أن تـؤدي حقـه. وأعظـم حقـوق الله عـز وجـل أن تحمـده وأن تشـكره علـى هـذا الأمـر. وهـذا الخلـق إذا وجـد صـحيحًا في نفـس العبـد في اتجـاه ربنـا سـبحانه وتعـالى بالنظـر إلى نعمـه العظيمـة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾[102] هـذه الـنعم الـتي عليـك أن تحمـد الله عـز وجـل عليهـا كـذلك عليـك أن تـرى الوسـائط الـتي أوصـلتها إليـك. مـن نعـم الله إن يسـر لـك والـدًا، مـن نعـم الله عـز وجـل أن يسـر لـك أمًـا، مـن نعـم الله أن يسـر لـك

---

[95] [النساء: 147].

[96] [فاطر: 34].

[97] [فاطر: 30].

[98] [النحل: 78].

[99] [البقرة: 52].

[100] [الضحى: 6-8].

[101] [النحل: 114].

[102] [إبراهيم: 34].

مـن يعطيـك. فلـك هـذه الأدوات والوسـائل الـتي بينـك وبـين المعطـي. عليـك أن تشـكرها عليـك أن تحمـدها. والشـكر صـفة أصـيلة عظيمـة في القلـب. ملكـة نفـس كمـا في كـل الأخـلاق. ملكـة نفـس تعـني أنـك تعـترف بحـق الآخـرين عليـك. ولـذلك الله سـبحانه وتعـالى سمـى عبـده نـوح قـال أنـه كـان عبـد شـكورا. إنـه كـان عبـدا. هـذا الـربط بـين العبـادة والشـكر يتكـرر كمـا ترونـه في القـرآن. ﴿وَاشْـكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْـتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُـدُونَ (172)﴾[103] وهنـا ﴿إِنَّـهُ كَـانَ عَبْـدًا شَـكُورًا (3)﴾[104] يـذكر نعمـة الله عـز وجـل عليـه فيؤديهـا كمـا ينبغـي، ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُـرُونِ (152)﴾[105] وقـال سـبحانه وتعـالى عـن ابـراهيم ﴿إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ كَـانَ أُمَّـةً قَانِتًـا لِلَّهِ حَنِيفًـا وَلَمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ (120) شَـاكِرًا لِأَنْعُمِـهِ﴾[106]، ﴿وَلَمْ يَـكُ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ (120)﴾[107]، مـا المخـرج منهـا ﴿شَـاكِرًا لِأَنْعُمِـهِ﴾[108]. بمـاذا تمثـل عـدم الشـرك بالله أن يشـكر الله سـبحانه وتعـالى، وهـذا نحتاجـه في خلقنـا فيمـا بيننـا، أن نشـكر الوالـدين كمـا قـال سـبحانه وتعـالى ﴿أَنِ اشْـكُرْ لِي وَلِوَالِـدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِـيرُ (14)﴾[109] انظـر كيـف قـرن شـكره سـبحانه وتعـالى لنفسـه، شـكر العبـد لله عـز وجـل وبـين شـكر العبـد لوالديـه، لأنهمـا همـا أسـاس الـنعم، همـا أسـاس وجـودك في هـذه الحيـاة الـدنيا، حـتى إن العبـد لا يقتـل بأبيـه. لـو أن والـدا قتـل ابنـه لا يقتـل بـه. لا يقتـل الولـد بأبيـه. لأن هـو أسـاس وجـوده في هـذه الحيـاة. ومـن لا يـرى نعـم والديـه عليـه وهـو صـغير كيـف ربيـاه كيـف تعبـا عليـه فـلا يـرى نعمـة الله عـز وجـل. والـذي لا يشـكر أمـه ولا يشـكر أخـاه، والـذي لا يشـكر أخـاه لا يشـكر إخوانـه. وهـذا الخلـق مبعثـه هـو رؤيـة الأخـلاق في الخلـق والمحاسـن الـتي يؤديهـا الخلـق. نـرى للأسـف في زماننـا هـذا أن النـاس لا يـرون إلا الشـرور مـن النـاس. لا يـرون إلا المفاسـد في النـاس إلا القبـائح في النـاس. ولا يـرون العطـايا الـتي يقـدمونها لهـم. أخـوك

---

[103] [البقرة: 172].

[104] [الإسراء: 3].

[105] [البقرة: 152].

[106] [النحل: 120-121].

[107] [النحل: 120].

[108] [النحل: 121].

[109] [لقمان: 14].

الـذي يقـف معـك في المسـجد يجـب أن تشـكره. الشـيخ الـذي يعلمـك الحكمـة ويعلمـك العلـم ويعلمـك حـديثًا مـن الأحاديـث هـذا ينبغـي أن تشـكره وأن تعـترف بفضـله. لأن هـذه هـي حقيقـة، أنـت لم لم تخـرج هكـذا، أنـت لم تجـد نفسـك. ﴿إِنَّمَـا أُوتِيتُـهُ عَلَـى عِلْـمٍ عِنْـدِي﴾[110] هـذه سمـة قـارون، سمـة الشـياطين، وإنمـا سمـة المؤمنين أن يعترفـوا بحقـوق الآخـرين علـيهم، وهـذا الـذي ينبغـي أن يكـون، أن تـرى المحاسـن والفضـائل في البشـر، انظـر أن صـفة الشـكر مـن أعظـم مـا تحصّله فيـك، أنـك تـرى المحاسـن في الإخـوان أنـك تـرى المحاسـن في والـديك، أنـك تـرى المحاسـن في أصـحابك وأصـدقائك ولـو كـان القليـل فـيعظم في عينـك، لأن القليـل مهـم جـدًا في هـذه الحيـاة وهـذه قدرتـه. والله عـز وجـل قـال سـبحانه وتعـالى ﴿وَسَنَجْزِي الشَّـاكِرِينَ (145)﴾[111] سـنجزي الشـاكر، الـذي يشـكره يجزيـه الله عـز وجـل، سـواء شـكر الله عـز وجـل ﴿وَسَـيَجْزِي اللَّهُ الشَّـاكِرِينَ (144)﴾[112] ولـذلك كـان مـن دعائـه، اللهـم أعـني علـى ذكـرك وشـكرك.. عبادتـك.. ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـكُرُوا لِي﴾[113] هـذا الحـديث يفسـر هـذه الآيـة، قـال ﷺ "اللهـم اعـني علـى ذكـرك وشـكرك" ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـكُرُوا لِي﴾[114] أعـني علـى هـذه الخصـال الطيبـة الـتي أمـرتني بهـا وﷺ كمـا في الحـديث الـذي ذكـرناه "مـن لم يشـكر النـاس" هـذا عليـك أن يبقـى هـذا الحـديث في ذهنـك منصـوبًا أمامـك في فهمـك لهـذه القضـية المهمـة مـن الأخـلاق "مـن لم يشـكر النـاس لم يشـكر الله"، نسـأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا برحمته وأن يكرمنا بكرامته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(110) [القصص: 78].

(111) [آل عمران: 145].

(112) [آل عمران: 144].

(113) [البقرة: 152].

(114) [البقرة: 152].

التواضع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع اللقاء الثاني والعشرين من حديثنا عن الأخلاق وجوامع الأخلاق في هذا الدين العظيم. واليوم حديثنا عن خلق التواضع والذي هو عند أهل العلم يعني لين الجانب، التواضع هو لين الجانب وعدم الغرور، يقابل التواضع الغرور. والتواضع كما أنه فيه ملكة للنفس كذلك هو سلوك عملي، الناس يعني يتعاملون به ويأتون به على وجهه، ويعني أعني ما يعنيه هو خفض الجناح ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾[115] فخفض الجناح هو التواضع، ومن تواضع لله رفعه الله سبحانه وتعالى. والله سبحانه وتعالى حض على هذا الخلق في سور مكية، كما في سورة الرحمن كما في سورة الفرقان، قال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ﴾[116] أول وصف وصفه بهم، أول وصف وصف الله عز وجل به أهل القرآن، وصف عباده سبحانه وتعالى أنهم يمشون على الأرض هونا، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾[117] وانظر هذه الملائمة العظيمة بين قوله ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[118] وبين قوله ﴿يَمْشُونَ﴾[119] فهذه صفة العبد. وهذا رأيناها منه ﷺ لما دخل عليه أعرابي فجزع، لما رأى النبي خاف فالنبي طمأنه وهدأ قلبه وقال:"إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة" تأكل القديد بمكة يعني أنها كانت تأكل مما يأكل الناس وبشرية وليس فيها شيء من التميز على أترابها وعلى أخواتها، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل، بشر، فلذاك هذه الصفة لازمة للمؤمنين، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[120] العبد الذي يكون لله عز وجل يكون عبدا في مشيه على الأرض، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)﴾[121] وما هذا المشي على الأرض هونا إلا لا تركا للغرور والكبر

---

(115) [الحجر: 88].

(116) [الفرقان: 63].

(117) [الفرقان: 63].

(118) [الزخرف: 19].

(119) [الأعراف: 195].

(120) [الفرقان: 63].

(121) [الفرقان: 63].

وعذابه شديد، فإن النبي ﷺ وصف رجلا مشى في الأرض بين بردين متكبرا فخسف الله عز وجل به الأرض إلى سبعين ذراعا، فهو يتجلجل بها إلى يوم القيامة. ذكر بعض أهل العلم أنه قارون الذي افتخر بماله وافتخر بملكه، وآتاه الله الملك فخرج على قومه في زينته متكبرا مفتخرا ناسيا الشكر والتواضع. ولذلك هذا الخلق، خلق التواضع هو خلق ايماني، "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا" هذا وحي إلهي، "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". والعرب ترى أن الافتخار صفة محمودة، يفتخرون ويغترون، فجاء الإسلام ليقضي على هذا الخلق ويبدلهم بخلق أعظم منه، إنما هو خلق التواضع "إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد"، إذا أساس البغي في هذه الدنيا هو ترك التواضع. وهذه فتنة الأغنياء وفتنة المسؤولين وفتنة العلماء، وهي صفة للعلماء الصالحين وللحكام الصالحين وللعبيد الصالحين، انه إذا جالس الناس جالسهم بتواضع وإذا حدثهم حدثهم بتواضع وإذا سلم عليهم سلم عليهم بتواضع. وإذا جالسهم جالسهم بتواضع، غير ذلك يقول ﷺ :"ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله". سبحان الله أنا دائما أتفكر في هذه الأحاديث، التي عند الناس قاضية على معاني باطلة عندهم، أن التواضع يؤدي كما يقول الناس أن يستصغروك، أو يحتقروك، إذا تواضعت احتقروك، لا، بل إذا تواضعت لله هابوك، لأن الله عز وجل يضع في قلوبهم مهابة لك، ويضع في سمتك المهابة، ويضع في حركتك المهابة بالتواضع، النبي ﷺ هو أكثر الناس تواضعا، وتركا للكبر، وتركا للغرور، ومع ذلك كانت هيبته في القلوب، حتى إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا يقوون أن ينظروا إليه ويطيلوا النظر إلى وجهه الشريف الكريم ﷺ. ولذلك كان من صفته ﷺ أن يجالس الصحابة، فيأكل ما يأكلون، ويتحدث فيما يتحدثون به، حتى إن الأعرابي ليدخل عليهم فيسأل أيكم مُحَمَّد ﷺ، لو العلماء في هذا الزمان، لو المشايخ في هذا الزمان، لو الأصدقاء الأحبة في الله في هذا الزمان، على هذا الخلق، لسعد الناس، والناس نسوا خصوماتهم، وإنما يقع الفساد بسبب الغرور والكبر والافتخار، ولذلك الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ بقوله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾[122] بعض الناس يقول الجناح من سمته الطيران والعلو والارتفاع والله يأمره أن يخفض جناحه للمؤمنين، اخفض، لا تجعل جناحك يرتفع

[122] [الحجر: 88].

علـى إخوانـك بـل اخفضـه لتكـون موطـأ الأكنـاف. النـاس يجالسـونك فـلا يشـعرون بهـذا. ولـذلك الله عـز وجـل قـال ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[123] أذلـة، هـذا انتبـه لهـا، انتبـه، هـذا الذلـة علـى المؤمنين ليسـت عيبـا ولا تقصـيرا ولا ضـعفا بـل هـي عمـل إيمـاني. كانـت عائشـة ﵂ تقـول كلمـة عظيمـة، إنكـم لتغفلـون أفضـل العبـادة، تغفلونهـا، أفضـل العبـادة، قـال هـي التواضـع. "إنكـم لتغفلـون أفضـل العبـادة، التواضـع"، رضـي الله تعـالى عنهـا ولـذلك الله سـبحانه قـال ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[124] ولا تصـعر خـدك أي تلـوي عنقـك متكـبرا عـنهم. تصـعر خـدك أي تلويـه لا تنظـر إلـيهم مترفعـا، كمـا يفعـل الجـاهلون. وقـال سـبحانه وتعـالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾[125] هـذه كلهـا كمـا قلنـا كمـا رأينـا مـن السـور المكيـة. والسـور المكيـة كمـا ذكـرنا سـابقا ننبـه ونؤكـد عليـه أنهـا جـاءت مـن أجـل ترسـيخ قواعـد الـدين الـتي لا تنسـخ ومـن ذلـك قواعـد الأخـلاق فإنهـا لا تنسخ ولا تبـدل بـل هـي ثابتـة لأن الأخـلاق الدينيـة معياريـة والمعيـار دائمـا كمـا قلنـا سـابقا لا يتغـير. فقـال سـبحانه ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)﴾[126] الله اكـبر ابقـى علـى مـا أنـت عليـه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18)﴾[127] إن الله لا يحـب كـل مختـال فخـور. هـذه آيـة ينبغـي أن نجتهـد فيهـا وأن نمتثلهـا وذاك مـن أعظـم صـفات العلمـاء. أنهـم يتواضـعون، أنهـم متواضـعون، انظـروا إلى تاريخهـم انظـروا إلى أخلاقهـم مـع إخـوانهم إلى خـدمتهم كـانوا يخـدمون إخـوانهم يخـدمون أبنـاءهم يخـدمون تلاميـذهم. اليـوم يعـني إذا حدثتـه يمشـي مختـالا وإذا أردت الاجتمـاع إليـه كأنـك تجتمـع بشـيء عظـيم ويفتخـر علـى إخوانـه وبهـذا يقـع الفسـاد في الأرض، تـرك التواضـع يـؤدي إلى بغضـاء القلـوب ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[128] بـترك التواضـع يقـع الفخـر ويقـع الكـذب ويقـع.. لأن الغـرور

[123] [المائدة: 54].
[124] [لقمان: 18].
[125] [الإسراء: 37].
[126] [الإسراء: 37].
[127] [لقمان: 18].
[128] [آل عمران: 159].

كـذب. أنـت إنسـان في النهايـة معـروف أصـلك ومـن أنـت وأيـن ومـاذا تحتـاج وكـم أنـت ضـعيف والنـاس يعرفـون منـك جهلـك ويعرفـون ضـعفك فـلا تفتخـر. نسـأل الله سـبحانه وتعـالى أن يرحمنـا برحمتـه وأن يجعلنـا مـن عبـاده المـوطئين أكنافـا الـذين مـدحهم بقولـه سـبحانه وتعـالى ﴿وَعِبَـادُ الـرَّحْمَنِ الَّـذِينَ يَمْشُـونَ عَلَـى الْأَرْضِ هَـوْنًا وَإِذَا خَـاطَبَهُمُ الْجَـاهِلُونَ قَـالُوا سَـلَامًا (63)﴾[129] والحمد لله رب العالمين.

[129] [الفرقان: 63].

الصبر (1)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين. آمين.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع اللقاء الثالث والعشرين من كلامنا وحديثنا عن الأخلاق وأهميتها في دين الله عز وجل وفي زماننا هذا نستدعيها أكثر مما نستدعي شيئا آخر بعد تصحيح التوحيد وتصحيح العبادة لابد من الاهتمام بالأخلاق والأخلاق هي عبادة لله عز وجل تقدم هذا بينا. نأتي إلى خلق كان ينبغي أن نتحدث عنه في بداية الأمر لكنه في الحقيقة نتحدث عنه في ختام الأمر أو قريبا من الختام بأهميته وهو خلق الصبر وسبب أهمية هذا الخلق أن جميع أعمال البشر تحتاج إلى هذا الخلق وجميع الأخلاق تحتاج إلى هذا الخلق، جميع الأخلاق، الصبر "وما أعطي أحد خيرا من الصبر" هذا من كلام النبي ﷺ وما أعطي شيء أعظم من الصبر، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد أعظم من الصبر.

ولذلك العبادة لله تحتاج إلى صبر ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[130] أداء العبادات والمحافظة عليها يحتاج إلى صبر، العبادات كلها، الحج من حج يعلم أنه من غير الصبر لا يصل إلى مبتغاه وسيقع منه الشر والغلط العظيم، الذي يصوم، الصوم هو الصبر، والحديث والصوم جنة فسر هذه الجملة من كلام النبي ﷺ فسرها من أهل العلم أن الصبر المقصود به الصوم هنا، ودلالة الصبر على الصوم شيء نفهمه لأنه صبر على ترك الشهوات، يصبر على ترك طعامه وشرابه وإتيان أهله، فالصبر هو خلق جامع لكل الأخلاق التي نحتاجها ويجب علينا أن نتعلمه لأنه تمرين للإرادة.

الإمام النووي عليه رحمة الله في كتابه رياض الصالحين ذكره بعد أن ذكر خصلة التوبة،

---

[130] [طه: 132].

صـفة التوبـة، ذلـك لأن الـدخول للإسـلام والـدخول إلى الله بالتوبـة، أعظـم باب للـدخول علـى الله هـو توبـة المشـرك، يتـوب مـن شـركه بالتوحيـد والعاصـي يتـوب مـن معصـيته فيـدخل إلى الطاعـة وإلى الولايـة، ثم تأتي صـفة الصـبر ثاني باب ذكـره في كتابـه رياض الصـالحين، الصـبر، وأخـذ هـذا كـذلك عـن الغـزالي، الغـزالي ينتمـي لهـذه المعـاني وهـو إمـام في رصـد هـذه المعـاني. وأوسـع باب وجدتـه في كتـاب رياض الصـالحين، أوسـع باب هـو باب هـو باب الصـبر. وأنا شـرحته كثـيرا مـن أحاديـث هـذا البـاب ولعلـي انتهيـت منـه، فالصـبر تمـرين لـلإرادة، تمـرين لإنسانية الإنسان، لخلق الإنسان لعقل الإنسان، الغضب هو ضعف.

لـذلك النـبي قـال :"لا تغضـب"، الغضـب ضـعف. لمـا يسـيطر عليـك شـيء آخـر لا تملـك إرادة القـرار فيـه فـدل علـى أنـك مأسـور، دل علـى أنـك مأسـور. عنـدما يأتي شـيء ويسـيطر عليـك، نفسـك تسيطر عليـك، فيغيـب عنـك العقـل، تغيـب عنـك إرادتـك العالمـة الذكيـة، الـتي تبصـر المـآلات، فحينئـذ أنـت ضـعيف، وصـرت ريشـة بيـد الشـيطان وبيـد الهـوى وبيـد الـنفس، ولـذلك نحـن نحتـاج أن نتحـدث عـن الصـبر لـيس فقـط مـن باب فضـائله الـتي جـاءت بهـا الآيات والأحاديــث الكثـيرة يجـب علينــا أن نــتعلم "ومــن يتصــبر يصــبره الله" كيــف نــتعلم الصـبر، انظـر، الفقـه يقـول لابـد أن نتعلمـه، تـذهب إلى الشـيخ فيعلمـك الفقـه، تـذهب إلى الكتـاب فتـتعلم الفقـه، العلـوم الأخـرى الـتي تحتاجهـا مـن علـوم الـدنيا تريـد أن تكـون مهندسـا، تــذهب فتــتعلم الهندســة، تــذهب تــتعلم تقــرأ في هــذه الكتــب، تريــد أن تــتعلم علــم الــنفس، تــذهب إلى شــيخ يدرســك هــذا العلــم، تــذهب إلى الكتــاب، والصــبر كــذلك تعلــم، تصــبّر، تعلـم، عليـك أن تـتعلم وأن تبـني أبنـاءك عليـه، عليـك أنـت تبـني نفسـك عليـه، أن تتعلمـه، والنـاس يظنـون أن الصـبر هـو صـفة فطريـة لا دور لنـا فيهـا هـذا يصـبر وهـذا لا يصـبر، فليبقـى كـل واحـد مكانـه، هكـذا يظنـون، يظنـون بأن الصـبر هـو صـفة فطريـة فقـط، نعـم بعـض معانيهــا فطريــة، ولكــن هــذا الخلــق يتشــكل في الإنســان تشــكلا تامــا يــتم بالإرادة، وتقويــة الإرادة في ضـبط الـنفس علينـا أن نتعلمـه، وهـذا علـم مفقـود في زماننـا، المفقـود، بعـض النـاس يتعلمـه مـن خـلال التجربـة الـتي يحتاجهـا، الشـيخ لأنـه يرقـب الآخـرة ويحـب لقـاء الله ويحـب أن يبـذل العلـم للنـاس فيصـبر علـى تلاميـذه، فيـدرك هـذا المعـنى، فيبـدأ يصـبر علـيهم، مـرة يتـأخرون مـرة يغيبـون مـرة يسـفهون بالكـلام مـرة يسـفهون بالسـؤال ويجهلـون، فيصـبر علـيهم فيـتعلم الصـبر

من خلال الممارسة، فهذا شيخ صابر.

الأب يصبر على أبنائه يقول ماذا أفعل؟ هل أغضب فأخسر هؤلاء الأبناء؟ فيبدأ الأب بتعلم الصبر، لكن ما نفقده أن يكون هناك مدارس لتعليم الصبر، كيف، انظر، الآن هذا كلام مهم لنرى كم نحن نحتاج إلى مدارس تعليم الأخلاق، كما نفتح مدارس لتعليم العلوم، وهذه أنا أقولها للإخوة الذين عندهم مساحات من الأرض هم يسيطرون عليها، عليهم أن ينشئوا المدارس التي تعلم الاخلاق، وأول خلق يجب علينا أن نعلمه أبناءنا هو الصبر، مع الأخلاق الأخرى التي تقدم ذكرها من الصدق والأمانة، حتى نعلم الصدق نعلم الأمانة نعلم الشجاعة نعلم الكرم، يتعلم يجب أن تعلمه، والتعلم ليس فقط بالموعظة، يعني ليس فقط هذا المجلس الذي يعلم قيمة الصبر، نعم التعليم بمعنى الموعظة له أهمية، وهو ركن من أركان التعليم، الموعظة الحسنة، لكن كذلك يجب أن نعلمهم، الآن مثال لهذا كيف نعلم السياسي أن يضبط ألفاظه عندما يتكلم؟ انظروا ماذا يخطئ المشايخ عندما يتكلمون..؟ يغضبون، كم نحن نتكلم من كلام نندم عليه بعد ذلك؟ سواء في مجالسنا سواء عندما نسأل من الآخرين، سواء عندما نختلف مع بعضنا البعض، عندما نختلف كيف تتحدث؟ هذا جزء من الصبر؟ كيف تصبر على أخيك وهو يتحدث وأنت غير مقتنع بكلامه أو تراه يخطئ؟ كيف تصبر على الطفل وهو يمشي ويتعثر، كيف تصبر على أخيك، كيف يمارس معك الحياة. كيف تصبر على زوجتك. الآن تسأل عن بيوت المسلمين فترى الطلاق والفرقة والفساد، المرأة لا تصبر على زوجها، الزوج لا يصبر على زوجته، وكلا الأبوين لا يصبران على الأولاد والأولاد لا يصبرون على على أبويهم والحياة، ويخرجون من البيت فهي تجد أن الناس يصرخون ما أن تتقابل السيارة بالسيارة حتى يبدأ الصراخ والقتل وتسفك الدماء وما ذلك إلا لجهل الأمة بتعليم الصبر.

لماذا نرى أن بعض الأمم من غير ذكرها حتى يكون مدحا لها. لماذا نرى فيهم الصبر.؟ حتى أن البعض يسميها بلادة وليست كذلك. لكن عندما يتكلم معهم آخر يأخذون الكلام على مستوى معين. يغضبون ولكن يضبطون غضبهم. حتى أنك لا تستطيع أن تجد هذا الغضب في وجوههم. يتعلمون كيف يضبطون غضبهم. حتى لا تبدو معالمه في وجوههم. انظر إلى هذا العجب. ونحن قبل أن نغضب نرى كل الغضب على الوجه. قبل

أن يتحدث المتحدث. وقبل أن يبدأ نفض يديه وقيامه وصراخه وضربه الأرض والضرب برجله وبيده. علينا أن ننشئ مدارس لتعلم الصبر. من ذلك الصبر في الحوار. من ذلك أن نتعلم أخلاق الصبر على المخالف. الصبر على المتعلم. الصبر على الغضوب. الصبر على الحياة. الحياة هذه ليست رحلة وليست متعة. الله خلق الإنسان في كبد فيجب أن نفهم الإنسان أنك في كبد. في مشقة. ويجب أن تواصل وأي غضب يتملكك معنى أنك قد قطعت الطريق من هذا السبيل أن توصل إليه. كم من الناس غضبوا فكانوا يدرسون فتركوا الدراسة وفسدت حياتهم كم من الناس غضبوا من ابائهم فغضب عليهم آبائهم فغضب الله عليهم. كم من الأبناء لم يصبروا على أمهاتهم فجاوبوهم بكلام سيء فغضبت أمهاتهم فكان مصيرهم النار. هذا الخلق الذي يجب علينا أن نتعلمه كيف إذا نزلنا بنا البلاء أن نتعلم من خلال صفة اليقين. لأن اليقين هو المادة الأولى للصبر. مع أن الله جمعهما مع بعضهما البعض. ﴿صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)﴾[131] إلا أن الصبر لا ينشأ إلا باليقين. أنت لا يمكن لا يمكن أن تصبر على طول الطريق إلا بيقينك أن الله سيجزيك ونهاية الطريق هي النصر ونهاية الطريق هي الرحمة الإلهية ونهاية الطريق هي الرضا الإلهي. فلذلك علينا أن ننشئ الأخلاق التي تنشئ الصبر. من ذلك الثقة بالله الثقة بالدين بعض الناس بقي طول حياته يحدثني أحدهم. عن رجل لم يكن في بلد من البلاد لا يشغل سيارته لنقل المعاصي. فأجبر يوما من قبل أخيه أخذه فاستزله الشيطان فحمل هذه المعاصي بالسيارة ونقلها. كانت هي الرحلة الأولى والنهائية. هذا خسر. الناس قالوا قديما النصر صبر الساعة. علينا أن نعلم الناس كيف تدرك الأمور. لماذا أتحدث عن هذا. أتحدث عن هذا لأن الناس اليوم بسبب الحياة السريعة يريدون كل شيء بجهد قليل. اضرب لكم مثالا آبائنا عليهم رحمة الله جميعا من أهل الإسلام واليقين والصبر بنوا حياتهم لبنة لبنة. وكان يفهم الواحد منهم إذا كان مزارعا أن يخرج إلى الأرض فيحضر الحجارة الصغيرة ويبنيها حتى تكون حائطا وبعد سنة ترى الأرض جميلة وهذا الجبل الذي كان خربا صار جميلا ومرتبا. آبائنا بالقرش والقرشين بنوا البيوت وعلموا أبنائهم. اليوم يريد الواحد منهم يصبح مليونير في لحظة واحدة، لماذا.؟ لأن الحياة السريعة أفسدتهم. انظر أنت تمشي من بلد إلى بلد

---

[131] [السجدة: 24].

تمشي إلى مكان تمشي فيه ساعة وتعود فيه ساعة. ربما كنت تحتاج إلى نصف نهار في هاتين الساعتين حتى تقضي حاجتك. كان الناس يألفون يتعلمون الصبر.

اليوم الحياة كلها تدعوك إلى عدم الصبر لذلك يجب أن نتعلمه لأنه ضرورة لنا في ديننا ودنيانا.

أتابع معكم الحديث عنه إن شاء الله في لقاء قادم جزاكم الله خيرا.

الصبر (2)

الحمـد لله حمـدًا كثيرًا طيبًـا مباركًـا فيـه، والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا وحبيبنـا مُحَمَّد وعلـى آلـه وصحبه ومن والاه.

أهـلا وسـهلا بالإخـوة الأحبـة مـع اللقـاء الرابـع والعشـرين مـن حـديثنا عـن الأخـلاق وأهميتها، وما زلنا مع خلق عظيم نحتاج أن نتربى عليه ونربي أبناءنا وأمتنا عليه وهو الصبر.

بـلا شـك أن المرء هـو مسؤول عـن بيتـه أولا، كيـف يـربي أبنـاءه علـى هـذا الخلـق كيـف يـربي نفسـه علـى هـذا الخلـق، كيـف يـربي أبنـاءه كيـف يـربي زوجتـه عليـه، أنا أعلـم ونتحـدث حـديث الصـراحة بأن المجتمـع لا يعـين علـى شـيء مـن هـذا قـط، ولا الحيـاة الـتي نعيشـها هـذه حيـاة السرعة.

كـانوا قـديما يقولـون السـرعة والاتقـان لا يجتمعـان. اليـوم السـرعة والاتقـان يجتمعـان. بمعـنى وجـود الآلـة لـيس لوجـود اليـد وإنمـا الوجـود الآلـة. هـذا الآلـة المتقنـة والـتي النـاس بالغـوا ووصـلوا إلى مسـتويات عاليـة في إتقانهـا حققـت مـا يتنـاقض مـع مثـل النـاس السـائر "السـرعة والإتقـان لا يجتمعـان" صـار يتحقـق السـرعة والاتقـان. لكـن هـذه الحيـاة السـريعة الـتي نحياهـا في كـل سـبلنا أفسـدت علينـا أخلاقنـا. هـذا الصـراع بـين الآلـة المتوحشـة وبـين الإنسـان الفطـري، هـذا صـراع حقيقـي. نتحـدث عنـه لأن كثـيرا مـن صـراعاتنا في حياتنـا تـدور حـول هـذا المجـال. هـذا المعركـة. وهـو الصـراع بـين الآلـة المتوحشـة. هنـاك آلـة متوحشـة تريـد أن تفسـد الخُلـق، كـل شـيء الـذي نعيشـه اليـوم هـي آلـة لخـدمتنا لكنهـا تحولـت إلى سـيد علينـا. تحولـت إلى سـيد علينـا. مـن هـذه السـيادة الـتي نعيشـها أننـا صـرنا نشـعر أننـا لا نعـيش بـدونها، هـذا بـدل أن نسـيطر عليهـا صـارت تسـيطر علينـا. النـاس الآن لـو سـألتهم بأدق الأمـور هـل تسـتطيع أن تعـيش بغـير معلقـة، بعضـهم لا يتصـور أن يعـيش بغيرهـا. مـع أنـه وهـم، هـذا القـول وهـو عـدم القـدرة علـى العـيش مـن غـير هـذه الآلـة وهـم. عـاش النـاس حولهـا وقـد جربـت هـذا مـن ذاتي ومـن نفسـي كنـت أظـن أنـني لا أسـتطيع أن أعـيش في زنزانـة واحـدة سـنين طويلـة. عشـنا في زنزانـة واحـدة. الإنسـان يتـأقلم يتغـير مـن أعظـم صـفات الإنسـان أنـه يـتربى يتغـير. قيمـه تختلـف ويكـون مـن أكفـر خلـق الله كالسـحرة، ثم في لحظـة يقـذف الله الإيمـان في قلـب هـؤلاء السـحرة فيموتـوا

شـهداء بـررة. يعـني إياك هنـا نقطـة مهمـة جـدا في قضـية التربيـة. ونحـن هـذا مهـم في قضـية الأخـلاق. إياك أن تيـأس في تغيـير خلـق. إياك إياك أن تيـأس في تغيـير خلـق عنـدك. تقـول أنا لا أسـتطيع. هـذا مبـدأ الصـبر أن تصـبر علـى نفسـك. أجهـل الجهـلاء يصـبح مـن أعلـم العلمـاء بالـتعلم والصـبر علـى العلـم. وأكثـر النـاس غضـبا يصـبح أكثـر النـاس حلمـا. الـذي يحقـق الصـبر.. نهايـة الصـبر الحلـم وأصـل الحلـم الصـبر، لا يكـون الحلـم إلا بالصـبر لأن الحلـم هـو العفـو عـن الآخـرين عنـد وقـوع الـبلاء منهم عليـك. فلـذلك الآن اليوم هـذه نقطـة مهمـة. الآلـة الـتي نعيشـها اليـوم آلـة متوحشـة. غلبتنـا وسـيطرت علينـا فبـدل أن نسـتخدمها مـن أجـل أن تقضـي حوائجنـا وأن نكـون نحـن الأسـياد عليهـا تحولـت هـذه الآلـة إلى سـيد علينـا اليـوم واحـد يتصـور أنـه لا يسـتطيع أن يعـيش بـلا تلفـاز لا يسـتطيع أن يعـيش بـلا تلفـون لا يسـتطيع أن يعـيش بـلا سـيارة. فصـار الإنسـان مأسـورا لهـذه الآلـة. صـحيح أن الآلـة سـهلت لنـا الحيـاة. لكنهـا قضـت علـى الكثـير مـن إنسـانيتنا. ولـذلك علـى المـرء أن يـتعلم أن يعـود إلى انسـانيته. يـتعلم أن يعـود إلى إنسـانيته، أنا أضـرب أمثلـة يسـيرة. يجـب علـى المـرء أن يـتعلم كيـف يمشـي إذا كـان المسـجد بعيـد عنـه نصـف كيلـو، لا يركـب السـيارة يمشـي. يجـب أن يـتعلم هـذا. يجـب أن يـتعلم كـي لا ينظـر.. الآن يوصـلون لـك المعلومـة عـن طريـق التلفـاز عـن طريـق الصـورة.. هـذه الصـورة قاضـية علـى معـاني كثـيرة موجـودة في داخـل وفي جـوف الكلمـة. تقـول للمـرء كيـف تعلـم التـاريخ؟ يقـول حضـرت فـيلم حضـرت مسلسـل. فسـد، فسـد أفـق الكلمـة الـتي تخـبره بالمعـنى. لأن الصـورة محصـورة. الكلمـة مفتوحـة. الكلمـة أفقهـا مفتـوح جـدا. وهـو يوسـع الأذهـان ويوسـع البصـائر ويأتي بالمعـاني الغريبـة. الصـورة محصـورة أمامـك. انظـر كيـف صـارت الآلـة متوحشـة مـع أنهـا مـن أجـل أنفسـنا فغلبـت علينـا. غلبـت الآن. الآن غلبتنـا. سـيدة لنـا علينـا أن نخـرج منهـا ولكـن وذلـك بالصـبر والتـأني علـى أنفسـنا. ممـا ضـربنا مثـال الصـلاة أن تـذهب إلى جـارك أن تـذهب لقضـاء حوائجـك بنفسـك لا تسـتخدم الآخـرين. إن بعـض النـاس يخـرج يكـون عنـده المزرعـة الصـغيرة في البيـت يخـرج المزرعـة يـنكش الأرض مـن أجـل النبـت ويحـب ويسـتطيع هـو أن يـذهب فيشـتري كيلـو ليمـون. لكـن هـو تكـون عنـده شـجرة الليمـون يعتـني بهـا. ليشـعر بإنسـانيته. اليـوم أنـت بـدل أن اضـرب لكـم مثـالا، بعـض النـاس يقـول أنا مـا أهميتـه أن أجلـس عنـد العـالم أجلـس مباشـرة. هـذا يأتيـني إليـه التلفـاز. يأتيـني إليـه

المنشور، يأتيني إليه الفيلم الذي صوره أو الدرس المصور. كم فقد هذا الإنسان من إنسانيته أن يكون جالسا هو جالسا جلسة العلماء في بيته يسمع العلم وهو يمد رجليه وهو ربما ينشغل ويضيع عنه، لكن في مجالس العلم هيبة لها معاني من تأثيراتها على النفس في تربيتها لخلق الإنسان. ومن هنا علينا أن نربي أنفسنا على المكارم الحقيقية وعلى الأعمال البشرية التي تعيدنا إلى إنسانيتنا يجب عليك أن تعمل هذه الأعمال وأن تخرج منها وهي هذه لا تنتهي. هي عندك. كل إنسان بحسبه. من أجل أن نحافظ على إنسانيته. وهذا يعيدنا إلى أعظم قيمة توجد في داخلنا هو الصبر.

فهذا أول الطريق وأعود إليها إن شاء الله في لقاء آخر جزاكم الله خيرا وبارك بكم.

الصبر (3)

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على خير خلقه نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع لقائنا الخامس والعشرين من حديثنا عن الأخلاق. وما زلنا نتحدث عن هذا الخلق العظيم الذي نحتاجه في كل لحظة وفي كل حين وفي كل يوم وفي كل شأن من شؤون حياتنا الدينية والدنيوية. ألا وهو خلق الصبر. هذا الخلق كما قلنا وأكرر لابد أن نتعلمه ولابد أن نفهمه. وذلك في تربيتنا لأنفسنا. في تربيتنا لأنفسنا للحفاظ على إنسانيتنا. الحفاظ على الإنسانية مقصد شرعي، لأن لا يتحول الإنسان إلى بهيمة إلى دابة، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[132] الله عز وجل عاب على الكفار أنهم كالأنعام، وعاب على العلماء الذين لا يستفيدون من علمهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[133]، وعاب على الذين يأخذون العلم فلا يرفعوا شأنهم وأنما يرتكسون في المعاصي قوله سبحانه وتعالى ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[134]، علينا أن نتعلم الأخلاق. الخلق الذي يعيدنا إلى إنسانيتنا، هو الصبر. ما الفرق ما بين الإنسان الواعي والإنسان الجاهل؟ ما الفرق؟ ما الفرق بين الطفل الصغير وبين الإنسان البالغ الذكي؟ الطفل إذا جاع بكى وصرخ ومزنق وإذا غضب مزق، والعاقل هو الذي يضبط هذا النفس البشرية المنفلتة. في حياتنا نحتاج إلى هذا الخلق في عبادتنا في العبادة. وذلك بتربية أبنائنا تدريجيا على الأمور شيئا فشيئا حتى تصبح الأمور عندهم مدركة. نحن مشكلتنا أننا نضع لأبنائنا الأمور مرة واحدة. فالطفل يهرب منها ويفزع لكن انظر إلى الآباء الأذكياء يعلمون أبنائهم السور الصغار حتى إذا أدركها علم أنه يمكن أن يحفظ الكبيرة. وهكذا يترقى في قضية حفظ القرآن. كيف نربيه؟ انظر إلى ابن السبكي عليه رحمة الله أن والده كان يوقظهم في الليل ليلعبوا. ليتعلموا قيام الليل بعد ذلك إذا كبروا عبادة. للصلاة والعبادة والذكر وقراءة القرآن. لكنه في صغرهم علمهم. الخلق الذي نحتاجه لنصبح بشرا نصبح خلقا سويا هو أن نعيده إنسانيتنا. أن نعود إلى إنسانيتنا العظيمة.

---

[132] [الفرقان: 44].

[133] [الجمعة: 5].

[134] [الأعراف: 176].

وأعظم ما – اكرر – أعظم ما ينبغي أن نتعلمه هو الصبر، أن نعلمه لأبنائنا. أن نعلمه لأنفسنا. لو هذا الحديث الذي يجري بين الناس ويجريه العلماء يقول فلان كان أبو اسحاق الفزاري عليه رحمة الله بكى في آخر عمره وكذا، سفيان أنه لا يستطيع أن يقوم في الركعة الواحدة إلا بمقدار البقرة وآل عمران. هل تظن أن هذا الخلق في الصبر على القراءة والقيام على الصلاة جاءه مرة واحدة. لا. هذا الخلق جاءه متدرجا. متعلما إياه موصلا إليه جرعة جرعة. الأخلاق تحتاج إلى جرعة جرعة كالصعود إلى الجبل. كالبناء. البناء يحتاج إلى صبر. ولذلك لابد أن تفهمه أنه لا يقوم مرة واحدة ولكن يحتاج إلى لبنة فوق لبنة. وهذا الذي يقرأ القرآن في أسبوع لم يبدأ بهذا لم يبدأ بهذا. لكن ترقى فيه مرة بعد مرة. هذا اللي صار عالما هل قرأ الكتاب مرة واحدة. الكتاب هو مجموعة حروف ومجموع أوراق. تعلم الصبر على أن يجلس فيأتي عليهم واحدا واحدا. وتجاهده نفسه وتدفعه وتقول له قم لا تفعل هذا. قم إلعب قم الهو. منه هذا الابن الذي يجلس الآن أو الأب الذي يجلس على التلفاز أو يجلس على التليفون وعلى الألعاب. يجلس الساعات الطويلة. كيف تخرجه من هذا الوهم من هذا اللهو. كيف تخرجه من هذا الأمر. لابد أن تقدم له وأن تعلمه كيف يفهم الأمور. عليك أن تدربه تدريبا مهما ولو في شيء من القسوة ولو في شيء من مغالطة النفس وإتعابها. فحينئذ عندما يعرف النتيجة ويرى النتيجة كم هي يفرح لذلك وسيطبقها في بقية حياته. الآن نحن نحتاج إلى الصبر في أعظم قضايا الدين وهي قضية الوثوق بوعود الله القادمة "ثم تكون خلافة على منهاج النبوة". انظر هذا الفساد الذي يحيط في العالم ما الذي يجعل المرء يثبت حتى يصل إلى النتيجة التي وعد بها رسول الله ﷺ أمته أن يكون لها العزة وأن يدخل هذا الدين في بيت كل أحد بذل ذليل أو بعز عزيز، كيف؟ يكون بالصبر على اللأواء والمصائب. الصبر على الطاعات. الصبر على الأمر بالمعروف والنهي المنكر. الصبر على الجهاد في سبيل الله. الصبر على المهمات العظيمة. نجرب للأسف يعني فيما رأيت. نجرب أننا نجد الشاب المسلم يمشي معك فيبدأ يتعب فيستسلم للتعب. لا يتعلم كيف يقاوم من خلال الصبر. لا يتعلم. لم يتعلم أن يقاوم التعب. أن يقاوم الجوع أن يقاوم العذاب. لم يتعلم. فهذا ينبغي أن نتعلمه أولا. وهذا التعليم إنما هو من خلال التربية السلوكية للصغير ومن خلال الموعظة العظيمة من كتاب ربنا عز وجل وذكر المآلات التي

حدث الله عز وجل بها عن الأنبياء. كيف صبروا. علينا أن نصبر على ابتلاء الله عز وجل. ما الفرق بين المؤمن وغيره. المنافق. ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)﴾[135]. صبروا عليها. ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾[136]، هذا قلة الصبر ولذلك هذا الخلق يجب علينا أن نتعلمه وأن نهتم به في تربيته لأبنائنا وأنفسنا وفي حياتنا. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وما زلنا مع هذا الخلق إن شاء الله في لقاء آخر.

---

(135) [التوبة: 124].

(136) [النساء: 83].

الصبر (4)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحمَّدا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين. جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين آمين.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع اللقاء السادس والعشرين من حديثنا عن الأخلاق وما زلنا مع خلق الصبر وضرورته للحياة. ضرورة هذا الخلق للحياة وفي حفاظنا على طاعتنا لربنا ومن أجل الوصول إلى المقصود وهو إرضاء الله سبحانه وتعالى والموت على التوحيد والسنة. أعظم ما نحتاجه نحن المسلمين أعظم ما نحتاجه نحن المسلمين في هذا العصر هو أن نصبر على ما نراه من شهوات وشبهات فالوعد الإلهي بين أيدينا قادم. شئنا أم أبينا، رأيناه بعيوننا أم رآه أبناؤنا بعد ذلك.

الذي يقوي العزائم ويحقق الصبر هو النظر إلى موعود الله عز وجل بيقين. والتعامل مع أحكام الله سبحانه وتعالى الخبرية. التعامل مع أخبار الله عز وجل بيقين وثبات.

الصحابة ﷺ إنما مدحوا في مكة بقوة إيمانهم ما الذي جعل هذا الإيمان يقوى. هو صبرهم. صبرا آل ياسر. انظر إلى هذه الكلمة الجميلة من فم النبي ﷺ الرحيم الذي ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)﴾[137] يقول لآل ياسر: صبر آل ياسر فإن موعدكم الجنة. الصبر خطوة فوقه تحققه من نفسك يكون بعد ذلك الجنة. هذا الانحلال الذي نراه في مجتمعاتنا ولقلة اليقين على موعود الله عز وجل. لأنهم لم يصبروا تجد المرء يصبر قليلا ثم بعد ذلك يزداد البلاء فيفلت معه العيار ويخرج من ضمن مقامات الصبر. ليلحق الشهوات. وبعد أن يدركها يدرك أنه أدرك قاذورات لا قيمة لها. فلذلك من أعظم ما يحقق الصبر هو أن تقرأ أجره وفضله وما قال عنه النبي ﷺ ما قاله القرآن ﴿إِنَّمَا

[137] [التوبة: 128].

يُـوَفَّى الصَّــابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَـيْرِ حِسَـابٍ (10)﴾[138] أن تعـرف فضـل هـذا الأجـر العظـيم أن تعلـم أجـر هـذا الخلـق العظـيم. مـا هـو فضـله وكيـف يحقـق السـعادة للإنسـان. الصـبر يحقـق السـعادة للإنسـان. وجميـع الأخـلاق تحتاجـه. جميـع الأخـلاق الحلـم يحتـاج إلى صـبر. العفـو يحتـاج إلى صـبر. العبـادات تحتـاج الى صـبر. بلـوغ المـآرب في الـدنيا والآخـرة. يحتـاج إلى صـبر. ولـذلك أولا أن نقـرأ أحكامـه الـتي جـاء.. أجـره.. الفضـائل الـتي جـاء بهـا. وأن نراقـب أنفسـنا لأن لا يتكـرر منـا الغلـط في سـقوطنا بسـبب قلـة الصـبر وأن نراقـب أبنائنـا ونراقـب أمهاتنـا ونراقـب زوجاتنـا أن نراقـب. هـذا تمـرين لهـم عليـه. وذاك عـن طريـق التـدرج. نحـن قلنـا بأن حفـظ القـرآن إنمـا هـو بالتـدرج والصـبر. قيـام الليـل يكـون بالصـبر والتمـرين والتـدريب. الصـيام للأبنـاء. انظـر إلى آبائنـا كيـف علمـونا الصـوم يقـول لـك: هـذه صـيام العصـفورة هـذا مـن الـذكاء والحكمـة. يصـومونهم نصـف النهـار. فبعـد ذلـك يزيـدون. بعـد ذلـك تجـد في السـنة القادمـة يصـومون رمضـان كلـه. والنـاس يعجبـون. أنا رأيـت تعجبـا شـديدا مـن الغـربيين كيـف يصـوم هـؤلاء الأطفـال، كيـف تصـومون..؟ لا يتصـورون أن رجـل يقـوم الصـباح فـلا يفطـر. لا يتصـورون هـذا. وذاك الصـبر يضـاد الـوهم. هنـاك أوهـام. الصـبر هـو الحقيقـة. الـوهم هـو غـير حقيقـة. تـوهم ناس يتصـورون أنهـم لا يعيشـون بغـير أن يفطـروا هـذا الصـباح. أو بغـير هـذا الطعـام. نعـم العـادة تحكمهـا الإنسـان ومـرض يجـب علينـا أن نخـرج منهـا. علينـا أن نصـبر أنفسـنا نخـرج مـن العـادات السـيئة الـتي نعـيش فيهـا. أضـعف جانـب يعيشـه الإنسـان هـو أن تـتحكم بـه عـادة مـن العـادات. أن تـتحكم بـه عـادة مـن عـادات الـدنيا. يتصـور أنـه لا يعـيش إلا بهـا. انظـر هـؤلاء الـذين يـدخنون يعيشـون وهـم أنهـم لا يمكـن أن يعيشـوا بـلا دخـان. بـلا أن يشـربوا الـدخان التبـغ. هـذا وهـم. فيسـتطيع أن يـتخلص منـه. الإنسـان عنـده الإرادة أن يخـرج مـن أعظـم العـادات وأعظـم الصـفات إلى غيرهـا إلى ضـدها. هـذا تـدريب نفسـي علـى قـوة الإرادة. أن نمـرن أنفسـنا علـى قـوة الإرادة. حـتى بالتـدريب البـدني. نحـن بحاجـة إلى التـدريب البـدني. لأن لا تكـون الأمـراض ولا نكـون عرضـة للـوهم. فعلينـا أن نمـرن أجسـادنا. والتمـرين الجسـدي الآن الرجـل يريـد أن يـركض في بـدايتها يقـول كيـف أنهـي هـذه السـاعة الطويلـة. وبعـد ذلـك تمشـي هـذه السـاعة. يتعلم ولـه أثـر علـى حياتـه. هـذه هـي التمـرين الرياضـي. لـه أثـر علـى

[138] [الزمر: 10].

تمرينـه في العلـم وعلـى تعلمـه العلـم وعلـى تعلمـه الصـفات الحسـنة. يبـدأ يغـير نفسـه لأنـه يجـرب أنـه يمكـن في الوقـت الـذي قـال لا أسـتطيع أنـه اسـتطاع. وإذا تظـن إنسـانيته ومـا قـدره الله عـز وجـل لـه مـن الخلقـة والفطـرة. السـكون إلى مطالـب الـنفس وهواهـا ووهمهـا. هـو انسـلاخ يـؤدي إلى تـرك العبـادة. يتـوهم كيـف أنا اتصـور أن النـاس يستصـعبون أن يصـلي المـرء خمـس صـلوات في اليـوم. يستصـعبون، لمـاذا للـوهم. وإلا فهـذه النـاس يصـلون. أعظـم النـاس عمـلا وشـغلا يصـلون. النـاس يتوهمـون أنـه هـل يقـوم الصـباح ولا يشـرب فنجـان القهـوة. يتركـه. بـل يصـوم ويصـوم. إياك أن تعـيش ضـمن الـوهم إياك أن تعـيش مـا يسـمى بـدائرة اليزيـدي. مـا هـي دائـرة اليزيـدي؟ اليزيـدي وهـم عبـدة الشـيطان. إذا جئـت إليـه وصـنعت دائـرة حولـه وهـو واقـف. جئـت وصـنعت دائـرة علـى الـتراب الـذي حولـه يتـوهم أنـه لا يمكـن أن يتخطاهـا. يعـيش وهـم هـذه الـدائرة. هكـذا هـو اعتقـادهم. اعتقـاد فاسـد أوجـد وهمـا فاسـدا. أبعـد عنـه أن يعـيش حياتـه كمـا ينبغـي. صـار مأسـورا لهـا. أضـعف البشـر هـم المأسـورون. أضـعف البشـر المأسـورون. يفقـدون إرادتهـم. مـا الفـرق بـين الأسـير وبـين هـذا الإنسـان الـذي يعـيش في بيتـه ومأسـور لوهمـه. فـبعض النـاس بعـيش هـذا الـوهم، يعـيش أنـه لا يسـتطيع أن يعـيش بغـير هـذا. وهـذا ممـا ذكـره العلمـاء علـى العشـق أن بعـض النـاس تصـور أنـه لا يمكـن أن يعـيش بغـير هـذه المرأة، فـإن لم يحصـنها ذهبـت حياتـه فنـاء هـذا يـؤدي بـه إلى الانتحـار. بعـض النـاس يتصـور أنـه لا يمكـن إذا فقـد الشـيء أن يعـيش. فيـؤدي إلى موتـه فيمـوت بعـد ذلـك. يـذهب يقتـل نفسـه. لمـاذا قتـل نفسه؟ لأنه عاش الوهم.

أقول قولي هذا استغفر الله لي ولكم.

صلة الرحم

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين. جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة مع اللقاء السابع والعشرين من حديثنا عن الأخلاق. واليوم حديثنا عن خلق عظيم نحتاجه في حياتنا وهو من أسباب رحمة الله على خلقه ألا وهي صفة الرحمة. وهنا سأخص الرحمة على رحمة خاصة. الرحمة على جميع الخلق والرحمة يدخل فيها صفات كثيرة لكن نتحدث الآن عن صلة الرحم. وكما ترون كما جاء في الحديث أن هناك علاقة بين الرحم والرحمة. فالله عز وجل اشتق لهذه الرحم اشتق لها اسما من اسمه فهو مشتق من اسمه الرحمن جل في علاه الرحمن الرحيم. وأنا أتحدث عن هذا الخلق العظيم وهو صلة الرحم لأنه من أعظم الصفات التي يقع بها الرحمة على المخلوق إذا وقعت من العبد على رحمه. ولأنها من أسباب الرزق. فوالله بالمتابعة والملاحظة وجدت أن أعظم الصفات التي تؤدي إلى الرفق وتؤدي إلى رحمة الله هو أن ترحم على الخلق. وأعظم الرحمة على الضعفاء والمساكين. والرحم ضعيفة مسكينة تحتاج إلى رحمة منك. أتحدث عن الرحمة. هؤلاء الذين يظنون أنهم بلغوا من المال وبلغوا من العز والجاه ما يستغنوا به عن ضعفة المسلمين. هؤلاء مساكين. النبي ﷺ يقول إنما ترزقون بضعفائكم، إنما ترفقون بضعفائكم. فالمجتمعات الغربية الضعيف يستهزأ به حتى ثقافة الاستهزاء بأصحاب العاهات التي إما أن تكون خلقية كالأعمى والأصم غيره أو الأعرج. قد تكون صفة خلقية صفة فطرية مقدرة عليه منذ ولادته وقد تنشأ من خلال حوادث في الحياة معه بعد ذلك. هذه الصفة السيئة وهو الاستهزاء بهؤلاء. بأصحاب الميزات. انظر إلى فقه أمتنا العظيمة سموا المريض سليم، سموا المريض سليمًا لرجاء السلامة، حتى عندنا العوام يقولون عن صاحب العين التي لا تبصر يقولون "العين كريمة" يعني أكرمها الله. انظر إلى هذا الخلق. هذا خلق

التكبر على الضعفاء والمساكين. هذا خلق أجنبي عن ديننا وخلق شيطاني لا يمت إلى الإسلام بصلة. نحن نعظم الفقراء ونعطيهم حتى إننا نقدمهم على غيرهم. كان النبي يمشي المشي مع أضعف الخلق ويتعامل مع أضعف الناس لأن الناس ينبغي أن يمشوا بهذه الطريقة. القوي قلة. الأقوياء قلة وإذا مشى القوي بالناس بسرعته أهلكهم. شرّ الرعاء الحطمة، ولكن إذا مشوا بأضعفهم كان في ذلك رحمة وتسلية للقلوب ووصول إلى الهدف. جمعا لأن الجمع أهم من الواحد. ومرات التجمع أهم من الهدف الذي نمشي من أجله. فلذلك الرحمة على الرحم هذا جزء من الرحمة الإلهية. الراحمون يرحمهم الرحمن. والله عز وجل اشتق لها كما قلنا اسما من اسمه جل في علاه، الرحمن. وهو من الرحم ويسمى هذا الغلاف الذي يأوي هذا الطفل المسكين الذي لا يستطيع أن يطلب بسن ولا أن يضرب بيد ولا أن يمشي برجل، اسمه الرحم لأنه رحيم عليه يعطف عليه. جعل في قرار مكين، والله سبحانه مع ضعفه سماه مكينا هذا من عظمة الله عز وجل. فيكون هذا الطفل في بطن أمه. فلذلك الرحم وأعظم الرحم هم الوالدين. ووالله ما وجدت بابا أوسع للرزق والعطاء الإلهي من صلة الرحم. وهم أولى الناس برحمتك وأولى الناس بعطائك. حتى أن الصدقة لو أعطيتها إلى رحمك عد لك بها أجرين. لا أجرا واحدا وهو أجر صلة الرحم وأجر الصدقة. النبي ﷺ لما تبرع أبو طلحة بيرحاء بعد أن نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[139] أمره أن يضعها في أهله في أقاربه لأن الناس يحتاج إليهم لا يفزعون لك عند المهمات إلا هؤلاء. لا لا يحبك حبا زائدا حبا على أخلاقك وفوق ما أنت عليه بحب زائد إلا هؤلاء. فأنت بحاجة إليهم. ولأنه من لا يحسن إلى مواليه لا يحسن إلى إخوانه لا يحسن إلى القريب لا يحسن إلى البعيد. لا يكذب الناس. الناس يكذبون في إذا أحسنوا إلى البعيد ولم يحسنوا إلى القريب. الرجل الذي يحسن أخلاقه مع الناس ولا يحسن أخلاقه في البيت هذا ليس برجل حسن ولا برجل خلوق. ولذلك الرحم ينبغي أن توصل، والرحم أوسع دائرة، تبدأ من الوالدين حتى تنتهي إلى أقرب الأقرباء وأبعد البعداء من الأقرباء رحم لا ينتهي أمرها يعني ليست تنقطع عند أحد من الناس من أقربائك. لا بل هي تمتد خاصة الرحم على النساء. لا تظن أن الغرب يحسن النساء هؤلاء

---

[139] [آل عمران: 92].

يفسدون النساء. في بعض التقارير تتحدث على أن أكثر مجتمع في العالم يضرب المرأة هو الأمريكي وأما قتل الأطفال في الغرب فشيء عجيب أحدثكم عن قصة حدثت معي. رأيت لمدرسة كانت تدرس الإنجليزية ونحن في السجن تدرس الانجليزية وتضع هنا...إشارة الأطفال "شلدرن" الأطفال. فتعجبت منها! قالت يوجد في كل أسبوع في بريطانيا يقتل طفل في غرفة المعيشة من قبل أمه أو عشيق أمه أو أبيه. يذهب سكران إلى البيت فيسكر في البيت. فالولد يصرخ يحتاج طعام يحتاج شراب يحتاج قضاء حاجة، فيزعج الأب أو العشيق أو الأم فيمسك رأسه ويضربه بالحائط فيقتله. قالت كل أسبوع يموت أقل شيء. واحد ضرب النساء ضرب الزوجات شيء غريب جدا، هذه أمة رحيمة، يجب علينا أن نكرّس هذه الرحمة لأجل أن يرحمنا الله سبحانه وتعالى، فلذلك صلة الرحم من أعظم الأخلاق التي نحتاج إليها في هذا الزمان وهي صفة تنبع من الكرم، والله لا يكرم المرأة إلا كريم، ولا يهينهن إلا لئيم، إنما هن عوان عندكم، ولا تظنون المرأة تكون قوية، هذا أكذوبة، هم يصورونها ويعطونها نفخات كما يضعون البوتكس في الوجوه، يضخمونها بينما هي فارغة، لا قيمة لها، كالوجل كما في الحديث، لا قيمة له فارغ من الداخل، فهي تعظم وتصرخ، لكنها لا قوة لها، لا قوة لهذه المرأة، فلذلك نحتاج إلى صلة الرحم، إلى صلة رحمنا، آبائنا وأمهاتنا، بناتنا، وخاصة الرحم على الضعيف، البنات، الأخوات، الشقيقات، العمة الخالة، فمثل هؤلاء الرحمة عليهم أمر عظيم عند الله عز وجل، نحتاجه ليرحمنا الله عز وجل، ومن غضب الله عز وجل أن يقطع الأواصر، وأن يقطع الصلات بين الناس، والله عز وجل قال ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[140] صفات أولي الألباب، العقلاء، نسأل الله أن يجعلنا منهم، آمين آمين، جزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم.

[140] [الرعد: 21].

الحلقة الأخيرة:

نموذج قرآني يعرض الأخلاق

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبة الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين آمين.

من المعلوم بأن القرآن المكي إنما جاء بالقواعد الأولى لهذا الدين وأسس الأصول التي بنيت عليها حياة المسلمين بعد ذلك تشريعا وعبادة ورقيا، وهذه الأصول التي قررها القرآن المكي من قضايا العقائد المتعلقة بالله عز وجل وصفاته وأسمائه وأفعاله، والمتعلقة بقضية بعثة الرسول ﷺ وإثبات رسالته والرد على الشانئين والحاسدين، وتقرير قضية حقيقة القرآن الكريم أنه كلام الله سبحانه وتعالى وأنه من عند الله جل في علاه وأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق الذي هو القرآن وصدق به أي آمن به، وجاء بالتشريعات التي هي أسس بناء الشخصية المسلمة والمجتمع الإسلامي. وهذه قواعد الأخلاق. فالقرآن الكريم عندما جاء بتقرير قواعد العقائد والمعاني الإيمانية التي يخالف بها المشركون، وجاء بقضية تربية الإنسان أخلاقيا، ونرى أن قضايا الصلة بالله عز وجل تعبدا إنما جاءت في القرآن المكي وقد ذكر هذا سابقا وكثيرا بأن قيام الليل إنما اختصت به السور المكية. وكذلك الآن نرى بأن قضية الأخلاق تغيير سمت الانسان المسلم من صفة اجتماعية ما إلى صفة أخرى فيها التعبد، وفيها حسن الأخلاق مع الخلق جميعا، وفيها ضبط سلوكهم مع الأشياء مع الأموال مثلا، مع المال، وهي قضية خطيرة جدا مع النساء مع الأهل والأقارب مع الجيران مع البشر. إنها قضية من قضايا الدين وأركانه وعقائده. وربما هنا وإن كان هذا التقسيم علميا تقسيما صحيحا هذا التقسيم العلمي هو تقسيم صحيح وهو البيان العقائد ثم الشرائع ثم الأخلاق، يقسمون البعثة النبوية والرسالة المحمدية إلى عقائد وإلى شرائع وإلى أخلاق، وهذا تقسيم علمي صحيح تقتضيه العلمية والشرح والبيان والتوزيع، ولكن المعلوم بأن القرآن إنما جعل هذه الأمور أمرا واحدا سماه الإيمان.

وتحدث عن عظمة السلوك الإنساني كما تحدث عن عظمة المعنى الإيماني. المعنى باعتباره علما والسلوك باعتباره حركة فعل وإرادة قلب. ومن هنا فإن القضية الأخلاقية قضية مهمة في دين الله عز وجل. وأنا ساتكلم عن طريقة القرآن في هذه القضية سأتكلم عنها وباختصار شديد لا يصيب السامع بالملل ولا بالتعب؟ وهو النظر إلى موطنين في سورتين مكيتين عرضتا قضية الأخلاق. وارتباط هذا لأخلاق بقضية الإيمان ومزجه مع قضية العقائد مزجا واحدا على مستوى واحد. والاقتران وإن كان ليس من أدلة الأحكام القوية ولكنه من أدلة الفهم. وهو الذي يسمى بالسباق والسياق في القضية القرآنية وفي التفسير القرآني.

فاقتران شيء بشيء يدل على قرب الأهمية وربما دل على معنى من معاني الأحكام كما هو قول بعض أهل العلم. فالآن نأتي إلى كيفية عرض القرآن في سورة الإسراء وهي سورة مكية. كيف عرض القرآن مع التوحيد مع قضية الإيمان العظمى وهي قضية علاقة العبد بربه. العبادة وأن كلمة العبادة شاملة لقضية الأخلاق. وقرن فساد الأخلاق بعدو الله عز وجل وهو الشيطان. وكيف أن كذلك في السورة الثانية في النموذج الثاني في سورة الفرقان كيف عرض القرآن الأخلاق من خلال عرضه وسياقه لقضايا الاعتقاد، التي نسميها الاعتقاد، وهي قضايا التصور. بعد أن قرر القرآن في سورة الإسراء وبما أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوام وفتح كما سميته في تفسيري لصبغة الله الصمد. فتح الأقواس في البيان إ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)﴾[141] فبعد أن فتح هذا العنوان الكبير في قضية هداية العباد لما هو أقوم وأن هذا القرآن هو مرشد للأخلاق القويمة وللسلوك الصحيح فجاء إلى ذكر هذا المعنى تفصيلا. مر عليه تفصيلا. وافتتح القضية الأخلاقية بقضية التوحيد. وفي قوله سبحانه وتعالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)﴾[142] انظر هذا الفتح ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾[143]؛

---

(141) [الإسراء: 9-10].

(142) [الإسراء: 22].

(143) [الإسراء: 22].

﴿فَتَقْعُدَ﴾[144] فدل على أن الشرك هو إحباط إرادة وتعطيل فعل إيماني مطلوب، هذا هو الشرك ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾[145] ماذا يؤدي هذا الشرك وهو أن يجعل لله عز وجل ندا آخر يعبد من دون الله. يؤدي إلى أن تقعد مذموما مخذولا، فتتعطل إرادتك في وصولك إلى أهدافك الدنيوية والأخروية. يعطلك في الوصول إلى رضا الله، يعطلك في وصول إلى أهدافك الدنيوية، في العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، يعطلك في الوصول إلى أهدافك العظيمة الجليلة في الدنيا ويعطلك في الوصول إلى النتائج الأخروية في دخول الجنة ورضا الله سبحانه وتعالى في كل الحالات فإذا فتقعد، هي تعطيل إرادة الخير. الشرك يعطل إرادة الخير.

ختم ثم بعد ذلك جاء إلى قضايا الأخلاق. نرى فورا بعد ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[146]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[147] هذا الذي نقول في المنهج القرآني وقد تحدث عنه كثير من أهل العلم وسيد له فضائل في هذا الباب، وهو قضية مزج قضايا الغيب والتوحيد بقضايا السلوك والعمل والتشريع فانظر بعد أن فتح هذا المشروع الأولي في هذا الحد ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾[148] وقبلها ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)﴾[149] انظر مخذولا، ومذموم لأنها صفة لازمة لكل من عصى الله عز وجل وأشرك به. ومخذولا، خذلت خلاص لن تصل إلى أهدافك. لن تبلغ الخير لن تبلغ الصلاح لن تبلغ النجاح لن تبلغ الفلاح.

ثم بعد ذلك جاء إلى القضايا الأخلاقية، ليدل على ما هو الخذلان في بعض الشرك. فجعل الحد الأول هو ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[150] وهذا إعطاء حق الله عز وجل لأنه هو الذي أوجدك، اعبدوا الله الذي خلقكم، فبعد ذلك إلى سبب وجودك في هذه الحياة بما قدر الله عز وجل من سنن ومقادير وهو ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

---

[144] [الإسراء: 22].

[145] [الإسراء: 22].

[146] [الإسراء: 39].

[147] [الإسراء: 23].

[148] [الإسراء: 23].

[149] [الإسراء: 22].

[150] [الإسراء: 23].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[151] هذا الاقتران العظيم انظر هذا العرض، هذه هذه قضية مكية يعرضها القرآن. لأن لا يقول أحد بأن القضية الأخلاقية هي قضية تالية أو قضية غير مهمة في قضية الدخول في رضى الله عز وجل، فإذا من الشرك بالله عز وجل. من الشرك بالله عز وجل أن تعبد غير الله. ومن القضايا التي يؤدي بها هذا الشرك من الخذلان هو عدم الأخلاق ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾[152] انظر هذا أنا أمر سريعا والباقي إليك أن تفتح القرآن أيها الأخ السامع أن تفتح كتاب الله عز وجل فتقرأ ذلك بتفكر وتدبر وأعظم عبادة في الوجود هي قراءة القرآن وأعظم درجة لهذه العبادة هو قراءة القرآن بتدبر وتفكر. وهذا الذي يؤدي إلى عظمة الإيمان في القلب. فقال سبحانه وتعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[153] ثم شرح فتح القوس ليشرح لك العلة التي أوجبت هذا هذه الطاعة من إرضاء الوالدين والإحسان إليهما ثم أتذكر أن كلمة الإحسان مع الوالدين وردت في سور عدة منها سورة الأحقاف ومنها سورة العنكبوت وجاءت "إحسانا" في سورة الأحقاف وجاءت "حسنا" في سورة العنكبوت وهنا تأتي "إحسانا" ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[154] ثم انظر إلى هذا هذا التجديد على هذه القضية وكأن من قضايا الفساد الإنساني وهي قطع علاقة الإنسان مع والديه ومن الأمور العجيبة في زماننا هذا وهو أن علماء الاجتماع يتحدثون كثيرا عن قضية فساد الأسرة. يتحدثون أن الأسرة السائلة الأسرة التي لا وجود لها، تحطمت الأسرة، تحطمت علاقة الأبوة والبنوة، تحطمت علاقة الأخوة لأنها إذا فسدت علاقة الأبوة والبنوة فسدت علاقة الأخوة وما بعدها من توالي فليست علاقة الصديق بصديقه أعظم من علاقة الأب بابنه وليس علاقة الزوج بزوجته بأعظم من علاقة الأب بابنه فإذا فسد ما هو أعظم دل على أن ما بعده أسهل في الفساد ولذلك القرآن يقررها كقضية مهمة في بناء النواة الأولى في داخل المجتمع المسلم. إما يبلغن عندك، وفصل هذا التفصيل. والتفصيل عند العرب يعني الاهتمام أنه يفصل لأنه يهتم بها. ويكرر الحديث عنها لأنها مهمة. فالأشياء إذا كثرت أسمؤها وكثر تكرارها دل

---

[151] [الإسراء: 23].

[152] [الإسراء: 23].

[153] [الإسراء: 23].

[154] [البقرة: 83].

علـى عظمتهـا ثم بعـد ذلـك إن أنـزل مـا هـو مـا بعـد الوالـدين، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26)﴾[155] تأمـل يعـني يسـأل السـائل أن يبـدأ الحـديث عنـه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[156] ليصـل إلى قضـية التبـذير. بعـد أن تحـدث عـن الوالـدين والعلاقـات الاجتماعيـة ودرجاتهـا فهنـاك العلاقـة الـتي هـي علاقـة الأبـوة والبنـوة ثم علاقـة النسـب ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[157] ثم علاقـة المسـلم الإنسـاني المسـكين علاقـة الحاجـة الـتي في كـل كبـد ورطبـة أجـرا. فيتحـدث بعـد بيـان هـذه العلاقـات وأنا لا أريـد أن أفصـل وإلا أهـل العلـم مـن التفسـير لهـم كلمـات مـن النـور كلمـات نورانيـة في هـذا البـاب ويراجعهـا طالـب العلـم. وإنما أنبـه علـى بعضـها. وبعـد ذلـك يتحـدث عـن قضـية التبـذير قضـية السـمات الاجتماعيـة قضـية الحيـاة الاقتصـادية. الأخـلاق في قضـية نهـم البشـرية. انظـر البشـرية الآن ضـياعها في هـذا التبـذير. ضـياعها. ضـياع البشـرية اليـوم في التبـذير. فسـاد المـال في قضـية التبـذير الـذي يـؤدي إلى الجشـع وغـيره. ثم يـربط هـذا التبـذير بالشـيطان بالعـدو لأن الشـيطان عـدو لـك. فحينئـذن باب إفسـادك! يعـني لمـا جـاء في قولـه تعـالى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[158] في سـورة الإسـراء لمـا قـال لله سـبحانه وتعـالى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[159] يعـني يقـبض عليـه مـن حنكـه. ذلـك لأن الدابـة إذا أخـذت مـن حنكهـا، لجـام الخيـل كـذلك مـا يوضـع لهـا، كـذلك علـى الجمـل مـن مخـزن في أنفـه يـؤدي إلى قيادتـه. فـالقرآن يقـول في هـذا مـا هـي آلـة احتنـاك الإنسـان مـن قبـل الشـيطان مـا هـي ؟ أيـن يقـبض عليـه قـال ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾[160] التبـذير هـو ذلـك الرسـم تلـك الآلـة الـتي توضـع علـى فـم الإنسـان فيقـوده الشـيطان إلى مـراده إلى فسـاده. أرجـو أن تكـون القضـية واضـحة. هـذا الحـد الأول الـذي يقولـه سـبحانه وتعـالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[161] ثم يأتي بعـد ذلـك ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

---

[155] [الإسراء: 26].
[156] [الإسراء: 23].
[157] [الإسراء: 26].
[158] [الإسراء: 62].
[159] [الإسراء: 62].
[160] [الإسراء: 27].
[161] [الإسراء: 22].

﴿الْبَسْطِ﴾[162] هـذا كلـه بيـان أخلاقـي هـذا بيـان رباني في قضـية الأخـلاق والسـلوك ويضـبط ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[163] وكأنـه قيـاس الأولى إذا كـان ربنـا سـبحانه وتعـالى لحكمـة لا لعجـز ولا لحاجـة ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[164] فـإذا كـان ربنـا سـبحانه وتعـالى إنمـا يعطـي بحسـب الحكمـة فـأولى الإنسـان أن يفعلهـا للحكمـة. والله لا يسـأل عمـا يفعـل. الإنسـان يسـأل عمـا يفعـل. ثم ذكـر قضـية القتـل وقضـية الـزنا وكـل ذلك يحتاج إلى تفصيل.

بسـرعة نـذهب أرجـو أن تكـون بينـة هـذه الصـورة. ثم ختمهـا سـبحانه وتعـالى في الحـد الأخـير بعـد ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾[165] مـن قبـل الله والبشـر، مخـذولا لا تصـل إلى مقاصـدك، كيـف خـتم الحـد الثـاني؟ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)﴾[166] يعـني لا أريـد أن نقـف في قولـه ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)﴾[167]. ثم انتهـى سـبحانه وتعـالى إلى قولـه ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)﴾[168]. شـوف العاقبـة، الأول قعـود عـن الوصـول إلى الغـايات والنهايـة بلـوغ إلى أسـفل الـدرجات وهـي جهـنم. ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ﴾[169]. الحـد الأول هـو مـا قالـه سـبحانه، والحـد الثـاني الـذي هـو بـين يـدينا في قولـه تعـالى ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)﴾[170] ملومـا مـدحورا لأن اللـوم بعـد عـدم الوصـول والخـذل سـتلام، لأنـك لمـاذا لم تفعـل؟ ولـن يكـون هنـاك خـذلان بـل يكـون مـدحورا، أي يـدحر في جهـنم ويبقـى في جهنم.

---

[162] [الإسراء: 29].

[163] [الإسراء: 30].

[164] [الشورى: 27].

[165] [الإسراء: 22].

[166] [الإسراء: 39].

[167] [الإسراء: 38].

[168] [الإسراء: 39].

[169] [الإسراء: 39].

[170] [الإسراء: 39].

هــذا النمــوذج القــرآني في قضــية عــرض قضــية الأخــلاق فيمــا بــين أيــدينا في هــذه الســورة. بسـرعة نـذهب إلى سـورة الفرقـان. سـورة الفرقـان يتحـدث ربنـا سـبحانه وتعـالى فيهـا عـن قضـايا الاعتقــاد والــرد علــى قضــية الرســول وشــأنه في هــذه الرســالة والــرد علــى مشــانئيه وحاســديه ويتحـــدث كـــذلك، تتحـــدث ســـورة الفرقـــان عـــن آيات الله الكونيـــة الدالـــة علـــى عظمـــة الله ووجـوب توحيـده وكـذلك تتحـدث عـن قضـية حكمـة القـرآن في التفريـق، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33)﴾[171] فبعــد ذلــك يصــل إلى هــذه الخاتمــة العظيمـة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[172] عبـاد الـرحمن يأتي بصـفاتهم الموجبـة لهـذا لهـذا المعنى في عبودية الله وهــي أعظــم درجــات القــرب مــن الله والإحســان في البشــرية. أعظــم درجــات الحســن في البشـرية والرقـي في البشـرية أن يكـون الإنسـان عبـدا لله عـز وجـل. فيتحـدث القـرآن عنهـا، وهـو ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾[173] انظـر كيـف افتتحهـا بهـذه القضـية العظيمـة وهـذه لـو قيـل للبشـر قولـوا أعظـم صـفة في العبـاد بعـد كصـفة مـذكورة أن يكونـوا عبـادا لله. لأنـه عبـاد الـرحمن يعـني أثبتـوا العبوديـة أثبتـوا التوحيـد لله وأثبتـوا حقـه في التشـريع والقبـول والتصـديق إلى آخـره. فمـا هـي أعظـم صـفاتهم بعـد دخـولهم في هـذا المعـنى واكتمالـه في أنفسـهم إنهـم عبـاد للـرحمن، قـال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[174] وهـي أبلـغ مـن ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾[175] لأنهـا يـدخل فيهـا ذلـك الـذي قالـه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[176] انظر ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[177]، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[178] هـذا

(171) [الفرقان: 32-33].
(172) [الفرقان: 63].
(173) [الفرقان: 63].
(174) [الفرقان: 63].
(175) [الإسراء: 23].
(176) [الإسراء: 23-24].
(177) [الفرقان: 63].
(178) [الإسراء: 24].

التنـوع في الحـديث عـن حالـة الإحسـان إلى الخلـق والتواضـع معهـم وإعطـائهم الحقـوق اللازمـة بمـا يوجبـه قـدر الله عـز وجـل وشـرعه، انظـر ﴿وَإِذَا خَـاطَبَهُمُ الْجَـاهِلُونَ﴾ [179] فأثبـت صـفة موجبـة وهـي ﴿يَمْشُـونَ عَلَـى الْأَرْضِ هَـوْنًا﴾ [180]، وأثبـت صـفة سـالبة في قولـه ﴿وَإِذَا خَـاطَبَهُمُ الْجَـاهِلُونَ﴾ [181] يعـني البعـد عـن الفسـاد وعـن المفسـدين وعـدم الـدخول معهـم في مهـاتراتهم الـتي تـؤدي إلى تصـغيرك ولتحقـيرك وتـؤدي إلى فسـادك. انظـر، أيـن وضـع التوحيـد وعبـاد الـرحمن؟ وضـعه في قولـه ﴿وَعِبَـادُ الـرَّحْمَنِ﴾ [182] وأيـن وضـعه في قولـه بعـد ذلـك ﴿وَالَّـذِينَ إِذَا أَنْفَقُـوا لَمْ يُسْـرِفُوا﴾ [183] انظـر إلى المبـذرين، في سـورة الإسـراء وهنـا لعـدم الإسـراف ﴿وَلَمْ يَقْتُـرُوا وَكَـانَ بَـيْنَ ذَلِـكَ قَوَامًـا (67)﴾ [184] بعـد ذلـك جـاء بقضـية لـب ذلـك كلـه وهـذا في وصـف عبـاد الـرحمن لكـن جـاء بلـب هـذه القضـية كلهـا وهـي قضـية ﴿وَالَّـذِينَ لَا يَـدْعُونَ مَـعَ اللَّهِ إِلَهًـا آخَـرَ﴾ [185] يعـني لـيعلم المـرء أن هـذا الوعـاء الـذي يحـوي التوحيـد يجـب أن يكـون أخلاقيـا. هـذا الوعـاء البشـري الـذي نحويـه مـن سـلوكنا في حياتنـا يجـب أن يكـون نظيفـا مـن أجـل أن يسـتحق هـذا الوصـف الإلهـي بقولـه ﴿وَالَّـذِينَ لَا يَـدْعُونَ مَـعَ اللَّهِ إِلَهًـا آخَـرَ وَلَا يَقْتُلُـونَ الـنَّفْسَ الَّـتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَـقِّ﴾ [186] لا يتعـدون علـى حـق الله ولا علـى حـق البشـر. وانظـر هـذا الاقـتران بـين عـدم الشـرك وعـدم قتـل الـنفس الـتي حـرم الله إلا بالحـق ﴿وَلَا يَزْنُـونَ﴾ [187] وهـذه كلهـا كمـا تـرون هـذه قضـايا أخلاقيـة. فكـأن القـرآن يقـول بأن التوحيـد بحديـه في سـورة الإسـراء يكـون مضـمونه هـو ذلـك. هـو تلـك الأخـلاق البشـرية، الاخـلاق الاسـلامية العظيمـة الجليلـة. وهنـا يقـول وكـأن لـب التوحيـد لا يحفـظ إلا بالأخـلاق لا يحفظـه إلا الأخـلاق لا يحفظـه إلا السـلوك الحسـن لأن فسـاد.. ﴿ثُمَّ كَـانَ عَاقِبَـةَ الَّـذِينَ أَسَـاءُوا السُّـوأَى أَنْ كَـذَّبُوا

---

(179) [الفرقان: 63].

(180) [الفرقان: 63].

(181) [الفرقان: 63].

(182) [الفرقان: 63].

(183) [الفرقان: 67].

(184) [الفرقان: 67].

(185) [الفرقان: 68].

(186) [الفرقان: 68].

(187) [الفرقان: 68].

بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[188] فالإتيـان بالسـيء ومنهـا الأخـلاق إتيانها السـيء يـؤدي إلى التكـذيب بأمـر الله عز وجل.

نسأل الله أن يرحمنا برحمته أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بيت المقدس

[188] [الروم: 10].